الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الأدب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللُّغة والأدب العربي
التَّخصُّص: لسانيات تطبيقية

أثَر الرَّوابِط اللُّغوية في إثبَات القَرابة بين السُّور القُرآنِية
قِراءة في مُقارَبة أمحمَّد صَافي المُستغَانمِي التَّفسِيرِية

مذكِّرة مقدَّمة لاستكمال متطلَّبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطّالب:
إسلام بن حليمة

إشراف الأستاذ:
د. عبد الحفيظ شريف

لجنة المناقشة:

1-أ (ة)/ حكيمة طايل	جامعة آكلي محند أولحاج –البويرة.	رئيسة
2-أ/ عبد الحفيظ شريف	جامعة آكلي محند أولحاج –البويرة.	مشرفا ومقرّرا
3-أ (ة)/ سعيدة تومي	جامعة آكلي محند أولحاج –البويرة.	عضوا مناقشا

السَّنة الجامعية:
2022-2021م

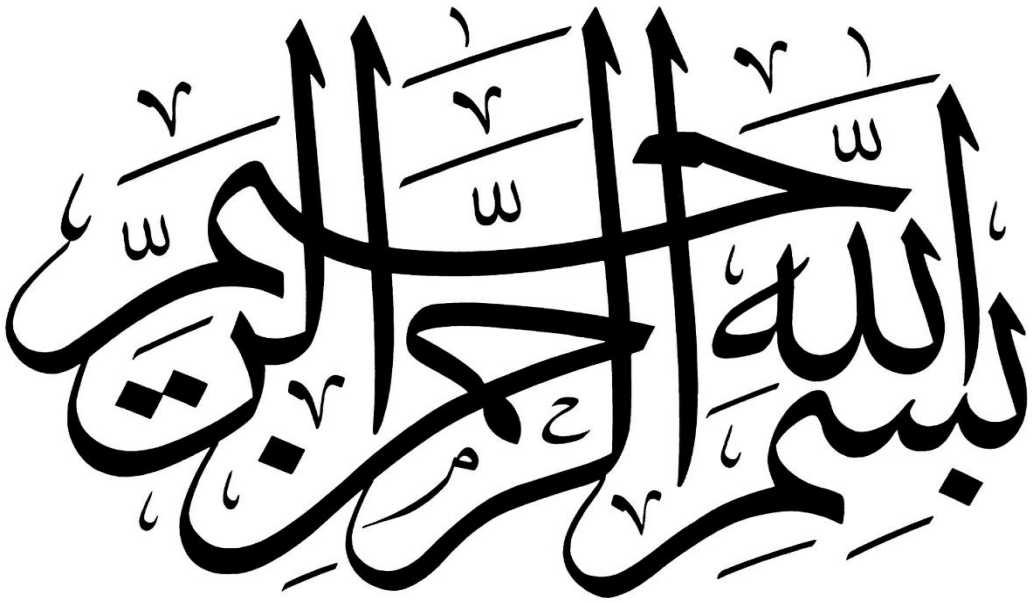
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

أُهدِي هذا العَمل المتَواضِع البَسيط إلى:

- **وَالِديَّ الكَريمين... رمزِ المحبَّة والعطَاء –حفِظهما الله ورعاهُما–**
- **زُملائي وزَميلاتي وتلاميذي بِثانوية بدَاوي محمَّد ببرج اخريص؛**
- **وإلى كلِّ من علَّمنِي حرفًا مذْ كنتُ صغيرًا إلى حِين كِتابتي هذِه العِبارات.**

إِسْلاَم بنْ حلِيمَة

شكر وعـرفان

عَن أبي هريرة –رضِي الله عنهُ وأرضاه– أنَّ رسُول الله ﷺ، قالَ: "منْ لَا يشكُرِ النَّاس لا يَشكُرِ الله"، تأسِّيا بهذا الحديث الشَّريف وعملًا بمُقتَضاه أتقدَّم بوافِر الشُّكر وخالِص التَّقديرِ إلى أُستاذي ومُؤدِّبي والمشرِفِ عَلى بحثِي الدُّكتوُر عبد الحفيظ شَريف الذي شَملنِي برعَايتِه وتوجِيهه ونُصحه وتَأدِيبه، ولمْ يبخَل عليَّ بالنَّصائِح الكثِيرة والمعلُومات الوفِيرة، وهو الذي احتَضَن بذرَة هذا العملِ حتى اسْتوَى على سُوقه، فلهُ مِنِّي كلّ عبارات التَّقدير والاحتِرام والودِّ والامتِنان على مجهوداتِه، كمَا أسألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ العَظِيم أنْ يُجازيه عنِّي خيرَ الجَزاء، وأنْ يجعل صَلاحَ فِلذَاتِ كبدِه منْ صَلاحِه إنَّه وليُّ ذلك والقادِر عليه.

كَما لا يفُوتُني في هذا المقامِ أنْ أنقُل كلَّ عِبارات الشُّكر والتّقدير لِصاحب جواهِر الدُّرر الشّيخ الأستاذ الدُّكتور أمحمَّد صَافي المستغانمي الذي أتحفَنا بِجوهرتِه الفَريدة العَصمَاء، والتي نَحسَبُها باكورة لِعلمٍ قَيِّمٍ مُفيدٍ، ونسألُ الله تعالى أنْ يَنفعَ بِه الأُمَّة الإسلامية قاطبةً، كما أرجو من الشّيخ أنْ يغفِر تَقصِيري وزلَّاتي وعُذري فيما كتبت فإنِّي مُجرّد طُويْلِب علمٍ حاولت جاهدًا مُجاهدًا تسلُّق هذه القمّة السّامقة الشّاهقة.

كَما لا يفوتني في هذا المقام أنْ أتقدّم بالشُّكر الجزيل لكلِّ من قَدَّم إليَّ يد العَونِ والمساعدة أثناء قِيامي بإعداد هذه المذكِّرة.

إسْلاَم بنْ حلِيمَة

مقدمة

مُقدّمة:

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعِينُه ونستغفِرهُ ونَسْتهدِيه، ونعوذُ بالله منْ شُرور أنفُسِنا ومنْ سيّئَات أعمالِنا منْ يَهدِه الله فلا مُضلَّ لهُ، ومنْ يُضلِل فلا هادِيَ لهُ وأشْهد ألَّا إله إلَّا اللهُ لَا شَرِيك لهُ، وأشهَد أنَّ محمَّدا عبدُه ورسوله أمَّا بعدُ؛ قد قِيل في القاعِدة الأصُوليّة: "مَا لا يتِمُّ الواجِبُ إلَّا به فهو واجبٌ" فقد قرَّر الأصُوليون في هذه القاعدة أنَّه مَا لا يتمُّ الواجِب إلَّا بفِعله فهو واجبٌ كذلك، فكأنَّ هذه القاعِدة قد كانت مُنطلَق الأستاذ صافي الذي بذَل جهدا عظيما متدبّرا لغة القُرآن الكريم، وخادما لهُ في الوقت نفسِه، فقد وظَّف الأستاذ تخصُّصهُ اللِّساني في خِدمة خطاب المَولى عزّ وجل فجاءت مُقاربَته التّفسيرية نابعةً من حبِّه للقرآن الكريم، وتأثُّره بمعانيه الجَليلة أولًا، ثمَّ من حُسن فهمِه وتحكُّمِه في لغة الضَّاد ومَكنوناتِها ثانيًا، فاعتمد الأستاذ في هذه الدِّراسة على الرّوابط اللُّغوية بنوْعَيْها اللّفظية والمضمُونية وتجلّياتها في المُستويات اللُّغوية الصَّوتية والتَّركيبية والصَّرفية والمعجمِية والدَّلالية إثباتًا للقَرابة بين السُّور القرآنية. ومستعينًا في هذه الدِّراسة على ما جادَتِ به قرائِح السَّابقين في عِلم المُناسبات والتَّفسير الموضوعي وما في بابها ممَّا تعلَّق بعلُوم التَّفسير، إلَّا أنَّ الشّيخ امحمَّد صافي لم يُقلِّد بلْ جدَّد في مقاربته فجاء ببواكير علمٍ حديثٍ مُستطرفٍ، ألَا وهو عِلم المُقارنات بين السُّور القرآنية، فينظر في السّور المتشابهة في مظهر ما – كالمُتشابِهة المطالِع أو المُتشابهة الفواصل أو غير ذلك – ليحيطها بدراسةٍ مُقارنة بحثًا عن الرّوابط الوطِيدة والأواصِر الوثِيقة الجامِعة بيْن مجمُوعات هذِه السّور القُرآنية، والتِي أطلق عليها اسم الأُسرِ القرآنية، فكانت هذه التَّسمِية الأخِيرة بمثَابة تصنيفٍ جديدٍ لِسُورِ القُرآن الكريم، إضافةً إلَى التّصنِيف المكّي والمدنِي، والتَّصنيف حسب معيار الطُّولِ في السُّور وترتِيبها التَوقِيفي في المُصحَف الشَّريف، وقد عرضَ الأستاذ صافي مُقاربته هذه في جوهرٍ نفيسٍ وسمه بـ: "جواهِر الدّرر في عِلم مُقارناتِ السُّور" فكان هذا السِّفر الثَّمين مُنطلَق دِراستِنا المُتواضِعة ومُرتكزَها؛ وقد ضمَّنه الأستاذ من الجواهِر والكُنوز مَا إنَّ دِراسته لتصيبُ بالفهْم، فجاءت

هذه المُقاربة التّفسيرية خادمةً لآي الذِّكر الحكِيم من حيثُ تناوَلُها سُور القُرآن الكريم لَا مِن مُناسبة خواتِيمِها لِمطالِعها أو مَا شابه ذلك منْ مواضِع عِلم المُناسبة، ولَا منْ حيثُ تجلّية معانِيها لِذاتِها، ولا حتَّى من حيث دِراستها لغويًّا، بل ذهبت إلى أبعَد منْ ذلِك، فتناولت سُور القُرآن من حيثُ قرابتِها ببعضها، وتجسَّد ذلِك من خِلال عرضِ الأستاذ لرُؤيتِه التَّأصِيلية المُتعلّقة بالرَّوابط القرآنية لمُجموعات الأسر القرآنية، فكان تصنِيفُه لهذه المجموعاتِ الأسرية مبنيًّا على ما استنبَطهُ من روابِط لغوّيةٍ كانت الفيْصَل في تصنِيفه، وعطفًا على ما سبَق ذِكرهُ، وتجليَّةٍ لما سلَف الخَوْضُ فيه وَجب على الدَّارس بيان الدِّراسات والعلوم التي تأثَّر بها الأستاذ صافي، ومِنها:

- (نظم الدّرر في تناسِب الآيات والسُّور) للإمام البقاعي؛ يمتَاز بأنَّ موضُوعه حديثٌ مستطرفٌ لم يَسبِقه إليه سابقٌ، ذَكر فيه مُناسبات ترتيب سور القُرآن الكريم والآيات، أطال فيه التَّدبُّر، وأمعَن من خِلاله التَّفكُر في آيات المولى عزَّوجل، ونادى فيه بأنَّ السّور القرآنية موضوعٌ واحد.

- (تفسِير التَّحرير والتَّنوير) للشَّيخ الطاهر بن عاشور، وهو كتابٌ في تفسِير القُرآن الكريم، يتميَّز بِنظرتِه الإصلاحِية ونَزعتِه التَّجدِيدِيَّة، فصاحِبُه لم يتَّكِل كليَّةً على التُّراث العِلمي للتَّفسير، حيث ينتقِد الكثيرَ من المُفسّرين لأنَّهم –في نظِره – اعتمدُوا على التَّفاسير السَّابِقة دون إضافةٍ تُذكر.

فقد تأثَّر الأستاذ صافي بنظرات هذينِ المفسّرَيْن ثمَّ جمع لهما ما أفاد به علم المُناسبات والتَّفسير الموضُوعي اللَّذين لهُما الدَّور البارِز في انبِثاق هذه المُقاربة.

ويجدُر بِنا في هذا الصَّدد الإشارة إلى المنهجية التي ينتهِجُها الأستاذ صافي في مُقاربته التَّفسيرية وهي كالآتي:

1- يُصدِّر مَبحثُه الدِّراسي بِذكر الأسر القرآنية التي يريد دِراستها من خِلال تِبيَانِه لِسُورِها.

2- يكشِف ترتيب نُزول السُّور القرآنية التي هو بِصدَد دِراستها؛ بحيث يَذكُر ترقِيمها في النُّزول ويشير كذلك إلى ترتِيبها التَّوقيفي في المُصحفِ الشَّريف.

3- يُشير كذلك إلى تفاوُتها من حيث الطُّولِ والقِصَر.

4- يتحدَّث عن مواضِيع كلِّ سورةٍ على حِدَة حديثًا مُوجزًا، كما يُشير إلى العلاقات بين السّور والآيات إشارةً خفيفةً لطيفةً.

5- يفصِّل في الحدِيث عنِ الرّوابط اللُّغوية؛ اللّفظية والمضمُونية الجامِعة بين سُور الأسرة الواحِدة.

6- يَخلُص في الأخِير إلى ذِكر النَّتيجة التي توصَّل إليهَا من خِلال المُقارنة التي أجراها بين السُّور التي تنتمِي إلى أُسرة واحدة؛ وهي في الحقيقة تأكيدٌ لتصنِيفه الجديد من خِلال إثباته صحَّة فرضِياتِه التِي انطلَق مِنها.

هذا هو الهَيْكل العام المرصُود في مُقاربة الأستاذ صافي التّفسيرية، والظَّاهر أنَّ الأستاذ قد تحدَّث عن الرّوابط اللّفظية والمضمُونية إجمالًا ولم يُفصِّل فيها بِذكر نوعِها وتصنِيفها، ومنْ هذا المُنطلقِ ارتَأيْت الخَوض في هذه الدِّراسة؛ من خِلال التَّفصِيل في هذه الرّوابط تصنيفًا لكلِّ رابطٍ في مُستواه اللُّغوي المُناسب إمَّا؛ صَّوتيا أو نحويا أو معجمِيًّا أو دلاليًّا، مع بيان نوعِه بصفةٍ دقيقةٍ من خِلال تسمِيته حسب ما هو مُتعارفٌ عليه في لسانيات النَّص.

أسبابُ اختِيار الموضُوع:

خُضنا غِمار هذا الموضُوع الجديد الفريدِ دُون غيرِه من البُحوث الإعجازية اللُّغوية لاعتِباراتٍ عديدةٍ، نذكُر منها:

- إنَّ هذه المُقاربة التّفسيرية تتّسِم بالجِّدة والحدَاثة، فموضُوعها حديثٌ مستطرفٌ لم يسبِقه إليه سابقٌ، ولم يُعرض له من قبله عارِضٌ، فكانت جدتُه هذه سببًا رئيسًا في اختيارنا له، والنَّفس – كما هو معلومٌ – تمِيلُ لِما هو جدِيدٌ، وقد تكون هذه المحاولة استجابة لدعوة الشّيخ الذي استحثَّ الباحثين بمتابعة مبادرته هذه، بل قد فتح باب عِلم المُقارنات على مِصراعيْه إذْ قالَ: "حسبِي أنِّي فتحتُ الباب

على مِصراعيْه أمَام الباحثين للوُلوجِ في لُجَّة المُقاربات بين السُّور..."[1] وهو ما أثار طمعَنا في التِماسِ النَّفع والفائِدة غرفًا من البحر أو رشفًا من الدِّيم.

– طبيعةُ الموضُوع الذي جاء خليطًا مُتجانسًا بين عِلمٍ من علوم اللُّغة في تخصُّصٍ كلسانيات النَّص، وبين حقلٍ من حُقول القُرآن الكريم مُجسَّدًا في التَّفسير الموضُوعي، وكِلا الموضوعين مثير للبحث العلمي الجالب للنَّفع الدّينيّ والدُّنيويّ.

– مكانُة الشّيخ صافي المستغانمي خارِج بلدِه عظيمةٌ، والدّلِيل على ذلك ما يتقلدُّه من الوظائف والمسؤُوليَّات وما ذلك إلا شهادة على علمه الغَزِير، وقد حزَّ فِي نفسِ الدَّارس هذا الغفلة عن إبداعات الشّيخ التي لَقِيت رواجًا قلَّ نظِيرهُ – خارج البلد – وما برنامجُه المعرُوض في قناة الشَّارقة "في رحاب سورة" لَخَير دَليلٍ على ذيْع صَيْته، وبرنامجه هذا هو عرض سمعيٌّ بصريٌّ لِمقاربته التَّفسيرية، فكيف لقامةٍ مثل هذه أن تُغيَّب في بلدِها؟!، وقد كان هذا الشُّعور دافعًا لنا لمحاولة تعريف الطَّلبة والدَّارسين والبَّاحثين بهذا العالم النِّحرير، بعرض أهمّ ما قدَّمه في حقل الإعجاز البياني في القُرآن الكَريم.

إشكاليَّة البَحث:

تضمّنت المُقاربة التّفسيرية للأستاذ صافي رؤيةً تأصيليةً للرَّوابط اللّفظية والمضمونية لمجموعات الأسر القُرآنية، وهذا ما لمسناه على مُستوى؛ "جواهر الدّرر في علم مقارنات السّور" الذي احتوى هذه المقاربة وتناولها بالعرضِ والتَّحليل والشَّرح والتَّمثيل، فهل وُفِّقَ الأستاذ صافي في استنباط وعرض هذه الرّوابط اللُّغوية بالقدر الذي يجعله معتمدًا عليها كدلِيل على صحّة مقاربته التَّفسيرية؟ وإلى أيِّ مدى استطاع الأستاذ صافي البَرهنة على صحّة تصنِيفه الجديد المبنيّ على أساسِ قَرابة السُّور؟

الفَرضيَّات: تحيلُنا الإشكالية السَّابقة على عدَّة فرضياتٍ هي:

[1]– أمحمَّد محمَّد صافي المستغانمي، جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّور، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1439هـ–2018م، ص21.

- أتُعدُّ الرّوابط اللّفظية والمضمونية المعتمدة دليلًا جازمًا على صحّة مُقاربته التّفسيرية؟
- أكانت هذه الرّوابط المُستنبطة كافيةً بالقدرِ الذي يجعلنا نحكم على صحّة تصنيفه الجديد؟
- هل استطاعت مُقاربته التّفسيرية استيعاب سورِ آيِ الذِّكر الحكيم كلِّها، أم احتوت بعضها ولم تَستطِع احتواءَ البَاقي من السُّور؟

المنهج المُتَّبع:

فرضَت طبِيعة الدِّراسة أنْ يكُون المنهَج الوصّفِي التّحليلِي هو المُعتمَد لما لآلياته من قدرةٍ على التَّحكُّم في مسار البحث، والدِّقَّة في الإحاطة بتفصيلاته، فهو يعتمد على:

1- وصفِ الظَّاهرة: أيْ وصف المُقاربة التّفسيرية من خِلال التَّعريف بها وتأطيرها معرفيًا.

2- تحليل الظَّاهرة: من خِلال تتبُّع الرّوابط اللّفظية والمعنوية المعتمدة في المقاربة وتصنيفها.

بِنيَة البَحث:

جاء بحثُنا في مقدِّمة حوَت عرضًا عامًا لجوانب الموضوع، وفصلَينِ؛ أحدهما نظريٌّ، وثانيهما تطبيقيٌّ عَمَليّ.

قام الفصل الأوَّل النّظري على عنصر أوَّل عرض ترجمة لأستاذ صافي المستغانمي، وفيه مقدمةٌ حول الرَّجل، ثمَّ حديث عن مولِده ونشأته وتعليمه وأهمّ شهاداتِه، وعلاقته بالقرآن الكريم، وأهمّ الوظائف والمسؤوليات التي تقلَّدها، ليختِم بمؤلَّفات الأستاذ، فيما تناول العنصر الثَّاني المُقاربة التَّفسيرية محلّ البحث من خِلال تأطِيرها معرفيًا، من حيث طبيعتها ومفاهيمها الأساسية المعتمدة، وإيراد التَّصنيف الجديد الذي جاءت به، ثمَّ تناول العنصر الثَّالث؛ مفهوم الرَّبط لغويًا واصطلاحيًا، وأنواعه مع التَّمثيل لذلك بُغية إيضاحِ الوجهة النَّظرية للبحثِ.

وقام الفصلُ التَّطبيقيّ على بيان تجلّيات الرّوابط اللّفظية والمعنوية وحضُورها على صعيد المُستويات اللّغوية الأربعة؛ صوتيًا ومعجميًا ونحويًا ودلاليًا، فجاء العنصر الأوَّل متناولًا الرّبط في

المستوى الصَّوتي، وتطرَّقنا من خلاله إلى التَّعريف بالفواصل القرآنية؛ لغةً واصطلاحًا ثم استنباط حضور الفواصل على مُستوى المُقاربة التَّفسيرية، وتناول العنصر الثَّاني الرّبط على المستوى النَّحوي وعرّفنا من خلاله أسلوب الإحالة وأهمّ أنواعها، ثمَّ استنباط تجلّياتها على مستوى المُقاربة، وتناول العنصر الثَّالثُ الرّبطَ على المُستوى المعجمِي عارضا أسلوبيّ التَّكرار والتَّضام، وذِكر أنواعها بالتَّفصيل خدمةً لموضوعِ البحث، ثم إسقاطهُما على المُقاربة بحثًا في تجلّياتها على مستوى المُقاربة ثمَّ كان الختم بعنصر رابع تناول الرَّبط على المُستوى الدّلالي، وفيه تمَّ التَّطرُّق لأهمّ العلاقات الدّلالية وتجلّياتها على مستوى المُقاربة التَّفسيرية.

الدِّراسات السَّابقة:

نظرًا لِجِدَّة العمل وحَداثَتِه لم يسبق أنْ تعرضت دراسة لِدراسة لهذا الموضوع لا بالنَّقد ولا بالتَّحليل، وبذلك غَدت دراستنا أوَّل عملٍ فيما يخصُّ مقاربة الأستاذ صافي التَّفسيرية، إلاَّ ما كان من أعمال الملتقى الدّولي أمحمَّد صافي المستغانمي مسار ومنجزات، المنعقد بجامعة مستغانم يومي: 05-06 ديسمبر 2021م، ورغم ما أثرت به المقالات حول المقاربة التَّفسيرية من تحليلات وملاحظات وتعليقات، فإنَّها تبقى جهودا متفرّقة توجَّهت كلٌّ منها إلى زاوية منها، وما استدركه هذه البحث على ذلك، هو اعتماد فكرة واحدة سيتاح لها فضاء أوسع، ومجال أرحب للتَّأسيس والتَّحليل والمناقشة.

الصُّعوبات:

من الصُّعوبات التي واجهت البحث، انعدام الدِّراسات السَّابقة لهذا الموضوع وهذا ما جعلنا نبذُل أقصى جُهدِنا واصِفين مُحلّلين للظّاهرة، محاولين عدمَ التَّقصير في حقِّ العمل وحقّ صاحبِه الأستاذ صافي المعروف في باقي الأوطان والمجهُول في أرضه.

الفصل الأوَّل

الجانبُ النَّظري للدِّراسَة:

مقدِّمات التَّأسيس

1- ترجمة للأستاذ صَافي المستغانمي.

2- الإطارُ المعرِفيُّ للمُقاربة.

3- تعريفُ الرّبطِ وأنواعُه.

1- ترجمة الأستَاذ صافِي المُستغَانمي:

1-1- مُقدِّمة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]؛ تشير الآية العظِيمة إلى أنَّ العُلماء بالله وبدِينه وبِكتابه العظِيم وسنّة نبيّه الكريم هم أشدّ النّاس خشيةً لله، وأكملُهم خوفًا وأوسعهم معرفةً به، كيفَ لا وهُم من عرفُوا ربّهم بأسمائه الحُسنى وصِفاته العُلى وعظيم حقّه، وتبصَّروا شريعته وعرفوا ما عنده لمن خافه واتقاه من النِّعم، ولمن خالفه وعصاه من النِّقم.

فمِن رحمةِ الله تعالى بِعباده أنْ قَيَّض لهم في كلِّ فترة عُلماء أتقِياء، صَفوة أوفِياءُ لدِينِهم وأُمَّتهم يواصلون سِيرة السَّلف عِلمًا وسُلوكًا، ويَصِلون حاضِر الأمَّة بماضِيها، ويُجاهِدون لترسيخ العقِيدة السَّوية الصّحيحة، ويُناضِلون لإحياء القيَم الإسلامية النَّقِية الرّفِيعة، جِهادًا بالقلم وفصاحَة بالكلِم هؤلاء هُم مشاعِل الأمَّة ونُورها، إذا ادلهمَّت الخطوب واشتدت الكروب، ومن خِيرة عُلماء الجزائر الذين جَمعُوا بين حِفظِهم للقرآن الكريم وتدبُّر بيانه وتبحُّرهم في معانِيه، فقد أدرَك عالِمُنا الجَليل قِيمة هذه اللّغة فهمًا لِقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النَّحل: 103] فعمِل على التّبحُّر في هذا اللّسان المُبِين، وفهمِ مكنُوناتِه خدمةً لكتاب القويّ المتينِ.

1-2- مولِدُ الأستاذ أمحمَّد صافي المستغانمي ونَشأَتُه:

وُلِد الأستاذ الدُّكتور أمحمَّد صَافي المُستغانمي في السَّابع من أكتوبر سنة 1965 بمدينة مستغانم في أسرة محافظة ببلدية عين النويصي، ويحكي الشّيخ عن تاريخ ازديادِه فيقُول: "عندما أُسأَل عن تاريخ ولادتِي يرتبِط في ذِهني أنْ أُجيب بأنَّني وُلدتُ في سنةٍ أفلَّ فيها نجمٌ عظِيم من نُجوم الجزائر

بل مِن نجوم العربِ والمُسلمين قاطبةً، أعنِي سنة 1965م الذي انتقل فيه إلى الرَّفيق الأعلى علَّامةُ الجزائر وجِهبُذها وحامل رايَة البَيان العربي والإصْلاح الدّيني فيها العلَّامة الإمام البشير الإبراهيمي."[1]

شاءتِ الأقدار أنْ يفقِد الشّيخُ والِده وهو في عُمر الزُّهور – سبع سنوات –فقد عاش يتيمًا مِثلما عاش كثير من رجال الإسلام العظام، وأئمَّته الأعلام، فذاق مَرارة اليُتم، لكنَّ الله برحمته عوَّضه بالصّدر الحنون التي خلّفت وراءها الولد الصّالح الذي يدعو لها، ومن خِلاله يدعو لها المُسلمون في عموم الأرض لِما نفعنا به ولدُها من غزِير علمِه وجميل فهمِه.

1-3- تعلِيمُه وشهَادَاتُه:

عُرف شيخنا الفاضل بحبِّه للعلم منذُ صغره وكان ذلك دافعًا قويًا له للتَّفوق على أقرانه، فقد كان الأول على صفِّه، حتى أنَّه وُجِّه لشعبة الرِّياضيات في الطَّور الثَّانوي، فقد كان الشّيخ متفوِّقًا في هذه المادَّة –العصية الفهم على البعض–إلاَّ أنَّ حُبَّ الشّيخ للغتِه وشغفه بِها منعَه المُواصلة في تخصُّص الرِّياضيات وأبَى إلَّا أنْ يُغّير توجُّهه ويختار شُعبة الأدب العربي التي كانت سببًا في وُصوله إلى ما هو عليه من ذيعِ صيتٍ في أقطارِ العالم العَربي.

التحق شيخُنا بجامعة وَهران لِيلتحِق بمعهد الأدب العربي، ويتخرَّج عام 1988م على رأس دُفعته وتتوالى الإنجازات بعد ذلك من إجازة في حفظ القُرآن الكريم وتلاوته برواية ورش عن نافع المدني من دمشق بسورية، ثمَّ إجازة في القراءات العشر من الفاتحة إلى الأعراف ليتحصَّل بعدها على الماجستير بتقدير امتياز بعد أنْ ناقش رسالته المعنونة بـ: "**تصريف القول في القصص القرآني؛ دراسة بلاغية تحليلية لقصَّة موسى عليه السَّلام**"، ليتحصّل بعدها على شهادة الدُّكتوراه من الجامعة

[1]– مختارية بن قبلية "إصابة المرامي في سيرة المستغانمي–وقفات ومحطّات في مسيرة أمحمَّد صافي العلمية–" أعمال الملتقى الدّولي، أمحمَّد صافي المستغانمي مسار ومنجزات، المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر، 2021م، ج2، ص13.

الماليزية في الاختصاص ذاته، بعد مُناقشة أطروحته المعنونة بِـ: "**بلاغة النَّظم في لغة الجسم في القُرآن الكريم**".

1-4- علاقة الشّيخ بالقرآن الكريم:

كان تعلُّق الشّيخ بالقرآن الكريم وبلُغتِه كبيرًا منذ صغره، فقد تأثَّر بأخيه الحاج عبد القادر صَافي الذي كان مواظبا على حفظ القرآن، ودعاه إلى حفظه معه، وكان من فتح الله على الشّيخ أنْ وهبه حافظةً قويةً سهَّلت له حفظ كتاب الله تعالى، ولم يتوقَّف الشّيخ عند الحفظ فقط بل تأثَّر بسحر لغة البيان التي ملأت قلبه حبًّا، وأشبَعت عقلَه فكرًا وأنطقت لِسانه سِحرًا وبيانًا، ليكون ذلك سببًا في تغيير تخصّص الشّيخ من شعبة الرِّياضيات إلى تخصُّص الآداب والفلسفة التي كانت أُولى خطواته في هذه المسيرة الحافلة الملهمة لذوي الهِمم العالية، فالشّيخ -كما سلف- هو حلقة وصلٍ ذهبية بين الماضي التَّليد والحاضر المجيد، ماضٍ مثَّله المجاهدون الأحرار والأئمة الأبرار أمثال الشّيخ البشير الإبراهيمي والشَّيخ عبد الحميد ابن باديس، وأمثالهم كثير ممن رفعُوا راية لغة الضّاد وطنيًا وعربيًا ودافعوا عنها بكلِّ ما أوتوا من حُسن بيان وفصاحة بيان، وحاضرٍ مجيدٍ يُمثّله أمثال شيخنا أمحمَّد صالح المستغانمي الذي ما انفكَّ يُعلي راية اللّغة العربية من خِلال أعماله الرّشيدة التي جاءت بمقاربات ونظريات قلّ نظيرها لما فيها من أفكار محدّثة تدلّ على بديهته الحاضرة وفكره النّير.

ومن بين هذه النَّظريات والمقاربات التي جاء بها الشّيخ وأثرى بها مباحث تفسير القُرآن ولغة البيان، مقاربته التّفسيرية ذات البُعد التَّأصيلي للرّوابط المضمونية واللّفظية لمجموعات الأسر القرآنية.

1-5- رحلات الشّيخ وجولاته:

قال الإمام الشَّافعي مُتحدثًا عن السَّفر وذاكرًا لفوائده:

سَافِر تجِد عِوضًا عَمَّن تُفارِقُه

وانصَب فَإِنَّ لَذِيذَ العَيْشَ فِي النَّصبِ

إنّي رَأيتُ وُقُوفَ المَاءِ يُفسِدُهُ

إنْ سَاح طَابَ وإن لم يَجْرِ لَمْ يَطِبِ

والشَّمس لَوْ وَقفَت فِي الفُلكِ دَائِمةً

لَملَّهَا النَّاس من عُجْمٍ ومِنْ عَرَبِ

وكأَّن الشَّيخِ قد عمِل بنصِيحة الإمام الشَّافعي – رضِي الله عنه – فشدَّ رِحاله حاملًا عِلمَه وأخلاقَه وكانت أَوْلى رحلاتِه وَأوَّلها نحو مكَّة قاصدًا إيَّاها لأداء مناسِك الحجِّ رُفقة والِدتِه الكرِيمة عام 1992م وتوالت رحلاتُه بعد ذلك حيث انتَقل إلى أمريكا الشَّمالية عام 1993م، مُدرسًا بها اللّغة العربية لأبناء الجَالية العربية وغيرهم، لكنَّ الشّيخ لم يبحَث عن مصدرِ رزقٍ بقدرِ ما كان يبحثُ عن منبَع عِلم يُشبع نهمَه الفكّري، فارتحل إلى سُوريّة، وأقام بِها دارسًا عِلم القِراءات، ليحصُل فيها على إجازةٍ في ذلك، ثم انتقل بعدها إلى دَولةِ الإمارات الشَّقيقة التي احتضَنته ليَستقِرَّ بها إلى يومِنا هذا، ففِيها ومِنها شعّ نُور عِلمه وأضاءَ سمَاء اللّغة العربية، ليُصبح بعدها أمينًا عامًّا لمجمع اللّغة العربية بالشَّارقة.

1-6- الوظائِف والمسؤوليّات التي تقلَّدها:

زاولَ الأستاذ صافي المستغانمي مِهنة التدّريس بالطّور الثّانوي من 1988م- 1992م، واشتغل في الفترة نفسِها مدرِّبًا مساعدًا بجامعة التّكوين المُتواصل بمُستغانم في العام الدِّراسي 1991-1992م بعد ذلك غادرَ الوطنَ مُستقرًّا في الإمارات العربية المُتحدَّة مُتدرِّجًا في المناصِب بدءًا بالتدّرِيس، ثُم انتقل نحو العملِ الإدَاري، ومن أهمّ الوظائِف والمسؤوليات التي تقلّدهَا الأستاذ صافي:

1- مُدرِّس مادَّة اللّغة العربية في المرحلة الثَّانوية في مدرسة الحِكمة الخاصَّة من 1997م إلى غاية 2003م.

2- مُدرِّس مُساعد في جامعة التَّكوين المُتواصل بمستغانم.

3- مُنَسِّق الأنشطة الفنِّية والشِعرِية والثَّقافية بين جميع أقسام مدرسة الحِكمة منذ الانتساب لها.

4- مُساعد المُديرة لقِسم البَنِين في مدرسة الحِكمة الخاصّة من 2003م إلى 2007م.

5- مُدير إدارة التَّنمِية البَشرية والشُّؤون التَّعليمية بمُؤسسة الحِكمة التعلِيمية منذ 2007م إلى 2011م.

6- مُوجه تربوِّي لمادتيْ اللّغة والتربية الإسلامية بين فُروع مدارِس الحِكمة الخاصّة من 1997م إلى 2011م.

7- مُحاضر مُتعاوِن بجامعة الشَّارقة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللّغة العربية.

8- نائِب مُدير مدرسةُ المعارِف الخاصة، 2014/2013م.

9- نائِب مُدير المدرسة الأمرِيكية للإبداع العِلمي للعام الدِّراسي 2016/2015م.

10- الأمين العام لمجمع اللّغة العربية بالشَّارقة حاليًا.

11- رئيس تحرير مجلَّة العربية لِساني حاليًا، مجلة أَدبِية لُغوية تصدُر عن مجمع اللّغة العربية بالشَّارقة.

1-7- مُؤلفات الأستاذ:

بعد استقرار الأستاذ أمحمَّد صافي المُستغانمي في الإمارات العربية المُتّحدة اهتَمَّ بالتّأليف، فألَّف عدِيد المُؤلفات في مجال اللّغة العربية والدِّراسات القُرآنية ومجال تَطوير الذَّات، ومن هذِه المُؤلّفات:[1]

1-7-1- المُؤلَّفات المَطبوعة:

1- كيفَ تُصبِح فَصِيح اللِّسان؟ دار ابن كثير للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 2007م.

2- الخطِيب النَّاجح بين عوامِل الإقناع ووسائِل الإمتَاع، دار الصَّحابة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة 2009م.

[1]- مختارية بن قبلية "إصابة المرامي في سيرة المستغانمي-وقفات ومحطّات في مسيرة أمحمَّد صافي العلمية-" أعمال الملتقى الدّولي، أمحمَّد صافي المستغانمي مسار ومنجزات، ج2، ص31.

3- تصريف القَول في القَصص القرآني؛ دِراسة بلاغية تحلِيلية لقصَّة مُوسى عليه السَّلام (رسالة ماجستير بالشَّارقة) دار عالم الكتب الحديث عمان.

4- مفاتِيح النَّجاح وسُنن السَّعادة؛ رؤية تأصيلية؛ دار ابن حزم، بيروت، 2013م.

5- مشارِق الأنوار من صحيح الأذكار؛ مجموعة من الأذكار المُختارة مع تعليقات موجزة.

6- بلاغة النَّظم في لغة الجِسم في القُرآن الكريم؛ جائزة دبي للقرآن الكريم، 2017م.

7- جواهر الدُّرر في عِلم مُقارنات السُّور؛ منشورات القاسِمي الشَّارقة، دار ابن كثير، بيروت 2017م.

8- ديباج القُرآن وعرائِس الفُرقان وقفات تربوية في سور "آل حم".

9- هندَسةُ السُّور القُرآنية.

2- الإطار المعرِفي للمُقاربة التّفسيرية للأستاذ صافي المستغانمي:

2-1- مُقدّمة:

القُرآن الكريم مُعجِزة الله الخالِدة، كِتاب مُحكَم السَّرد، دقِيق السّبك متِين الأسلُوب، قويُّ الحبك مُتَّصِل بعضُه ببعض كأنَّه عَقدٌ مُنتظمٌ تلاءمت حرُوفه، وتناسقَت كلِماته وجُمله وتكاملَت آياته وسُورُه يجرِي فيه الإعجَاز كأنَّه سبيكة واحِدة، وتتجلَّى عظَمتُه في وجوهٍ كثيرةٍ من أهمَّها؛ نَظمُه البدِيع وتناسُبه الرّفيع، وما زال الدّارسون يُولُون بلاغة القُرآن الكريم عِنايتِهم، ويبذُلون في إبراز دلائِل إعجَازه جُهدهم، ولعلَّ المُقاربة التّفسيرية للشّيخ صافي المستغانمي والتي تضمَّنها مُصنَّفه النّفيس: (جواهر الدّرر في علم مقارنات السّور)؛ من بين روائع الدِّراسات اللُّغويّة الإعجازِية فدِراسة الأستاذ القائمة على التّأمُّل الثّاقب لنُصوص التَّنزيل، والباحِثة عن أسرار إعجازِ النّص القرآني، "أَثبتَت أنَّ ما عُنيَ به التَّفسير التَّحلِيلي من تجلِّية لِمعانِي آياتِ الذِّكر الحكيم بشرحِ ألفاظِه، وسَبر معانِيها المعجمِية والسّياقية، وإعرابِها، ودِراسة أبنِيتِها الصَّرفية، وإبراز جمَاليَّاتِها البَلاغِية وبيان المَكِّي منها والمدنّي، مع ذِكر أسباب النُّزول، وترتيبه، والقضايَا الفرعية"[1]، لا تكفي لِفهم هذا النَّص المُعجِز، فجماليات النَّص القُرآني لا تنحصِرُ في شرح المُفردات المُستعَملة، وإعرابها، وبيان أبنِيتِها الصَّرفية وما إلى ذلك ممّا عُنيَ به علماء التَّفسير التَّحلِيلي، وإنّما ثمّة جوانبُ أخرى أثارت استفهام المُفسِّرين المُحدَثين فجعلَهُم يتسَاءلُون:" أين يَكمُن إعجاز القُرآن الكريم؟ أهو في ألفاظِه المُختارة؟ أمْ في تراكِيبه البَديعة؟ أمْ فِي صُوره الرّائعة؟ أمْ في مطالِعه البَارعة؟ أمْ في مقاطِعه وخواتِيمه الشَّائِعة الماتِعة؟ أمْ في ثروتِه اللَّغوية الغنيّة الثّرية؟[2]" وانطِلاقًا من كلِّ هذه التّساؤلات أثمَرت جُهود سادتِنا المُفسّرين ثمارًا تفسيريةً مختلفًا ألوانُها مُتشابهًا جوهَرُها، مُعتمِدةً في ذلك كلّه على آثار السّابقين من عِلم الأشباهِ والنَّظائِر وعِلم المُناسبة، وما شاكل ذلك من علومٍ تفسِيريةٍ تحلِيليةٍ وموضُوعِية.

---

[1]- أمحمَّد محمَّد صافي المستغانمي، جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّور، ص10.

[2]- المرجع نفسه، ص11.

2-2- مضمُون المُقاربة التّفسيرية للشَّيخ صَافي المستغانمي:

يعدُّ علم التّفسير من العلوم القرآنية التي مسّها التَّجديد وطبَعها التّنوُّع الفِريد، فهو -على غرارِ باقي عُلوم القُرآن وعلوم اللّغة العربية- قد شهِد تطوُّرًا ملحوظًا أدَّى إلى تغيُّر واضح في عديدِ المفاهيمِ وتحوُّل كبير في مجمل إجراءاتِه، لكنّ هذا لا يَعني انقطاع الصّلة بين ما سبق وما هو لاحقٌ، بلْ إنَّ ذلك بمثابة السِّلسلة المُتكامِلة الحَلقات؛ حلقةٌ تكمِّل حلقةٌ، فحلقةُ المُقاربة التّفسيرية للأستاذ المستغانمي ارتبطَت بِما أفرَزته حلقَات عِلم الأشباه والنّظائر، وعِلم المُناسبة بين السُّور القرآنية وباعتمادها على مُخرجَات هذين العِلمين وما توصَّل إليه الخائضون فيهما، برزَ نَوعٌ من التَّفسير "يُعنى بِجمع الآيات في موضوعٍ واحدٍ، وترتِيبها حسبَ النُّزول مع الوُقوف على أسبابِ نُزولِها ودِراستها دراسةً مِنهَجيةً موضُوعيةً كاملةً لتُعطِينا مُوضوعًا واحدًا لهُ وَحدةٌ متكامِلةٌ مُتناسقة لا تَبايُن فيها ولا اختِلاف حتَّى تلتَقِي جميعُ النّصوص كلِّها في مصبٍّ واحدٍ مع التَّعرُّضِ لمُناسبة الآيات في سُورِها"[1] ألاَ وهو التَّفسير الموضُوعي، الذي شغف به الأستاذ صافي، ونظّم من خِلاله وعلى مِنوالِه جواهر دُرَرِه، الذي أفَردهُ بجدِيد المُقارنة بين السُّور المتشابِهة المطَالع، والسُّور المُتشابهة الفواصِل، وكذلك المُقارنة بين السّور المُفتَتحة بأنساقٍ تعبِيريةٍ مُتشابهةٍ، فتأمُّلات الشّيخ الخالِصة، ورُؤيتُه الفاحِصة لآيات الذّكر الحكِيم جعلتهُ يتفَطَّن لوُجود أسرار بين السُّور المُتشابِهة المطالع، وهذا التَّصنِيف الذي على هذا النَّمط لم يُسبِق أنْ تناوله سابقٌ، فهو حدِيث حدَاثةَ صاحِبه، اعتمَد فيه على مجمُوعةٍ من الرّوابط اللّفظية والمضمُونية التي تُثبِت بما لا شكّ فِيه القرَابة بين هذه السُّور، فليس من باب الاعتباط ولا ولِيد الصُّدفة أنْ تَتشابَه سُورٌ في مطالِعها وفي فواصِلها بل هُنالك مقاصِدُ وفوائد تفسِّر ذلك، ولا عجبَ فهو كلامُ الله المُعجز بلفظِه، قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النّحل: 103].

وقد سبَق الحديث على أنَّ الأُستاذ المستغانمي قد تأثَّر بالدّراسات السّابقة التي من بَينِها عِلم المُناسبة، لكنّ هذا لا يعني أنَّه مُقلِّد بصفة كاملة، بل طبع هذا العلم بجديد متميِّز، من مظاهِره ما سمّاه الأستاذ عِلم المُقارنات؛

[1]- محمَّد محمَّد حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1970، ص25.

الذي يختلِف من علم المناسبات، ويجدرُ بنا في هذا الصَّدد أنّ نُبيّن هذا الأخِير ونُوضِّح المقصُود مِنه خدمةً لموضُوع هذه الدِّراسة.

2-3- عِلم المُناسَبة:

2-3-1- المُناسَبة لُغةً:

يقُول الرَّاغب الأصفهاني (ت 502هـ): "..والنَّسب والنِّسبة: اشتراك من جهة أحدِ الأبوَين، وذلك ضربَان؛ نَسبٌ بالطُّول؛ كالاشتراك بين الآباء والأبناء ونسبٌ بالعرضِ؛ كالنِّسبة بين بَني الإخوة وبَني الأعمام، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهۡرٗاۗ﴾ [الفرقان: 54][1]،ويقول الزَّركشي (ت 794هـ): "واعلم أنَّ المُناسبة عِلم شريف تُحرز به العُقول، ويعرفُ به قدرُ القائِل فيما يقُول، والمُناسبة في اللُّغة؛ المُقاربة، وفُلان يُناسِب فلانًا، أيْ يقرُب منه، ويشَاكِلُه ومِنه النَّسِيب الذي هو القَريب المُتّصِل؛ كالأخوين وابن العمِّ ونحوَه، وإنْ كانَا مُتناسِبين بمعنى رابطٍ بينَهما، وهو القرابَة".[2]

وحاصلُ القولِ ممّا سبق يتَّضِح أنَّ مادَّة "نسب" تجمَع أكثَر من معنى، فهي تعنِي الاشتِراك في النَّسب طولًا كالآباء والأبناء، أو عرضًا كالنَّسب والقرابة بين الإخوة وبَني الأعمام، ومعنى المُشاكلة والمُشابهة.

2-3-2- المُناسبة اصطِلاحًا:

يقول الإمام البقاعي (ت 885هـ): "عِلم مُناسبات القُرآن عِلمٌ تعرفُ مِنه عِلَل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البَلاغة ."[3]ويقول القاضِي أبو بكر بن العربي (ت 543هـ): "هو ارتباط آيات القُرآن بعضها ببعض، حتَّى

---

[1]- أبو القاسم الحسين الرّاغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الدَّاودي، ط1، دار القلم الدّار الشامية، دمشق، بيروت، 1412هـ، ص801.

[2]- بدر الدِّين محمَّد بن عبد اللَّهِ الزَّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم ط1، القاهرة 1376هـ - 1975م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ج1، ص35.

[3]- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور دار الكتاب الاسلامي القاهرة، ج1، ص36.

تكون كالكلِمة الواحِدة، مستقلَّةً المعانِي، مُنتظِمة المباني[1]" وقد عبَّر عنه الإمام عبد الحمِيد الفَراهي بنِظام القرآن، وبعضهم يبحثه تحت ما يُسمَّى بالوحدة الموضُوعية[2]، ولنا في هذا المقام أنْ نذكُر بعض المُؤلفات التي اهتمَّت بِعلم المُناسَبة:

- نُظم الدّرر في تناسُب الآيات والسّور؛ للبقاعي.
- البُرهان في تناسُب سُور القرآن؛ لأبِي جعفر بن الزبير الثَّقفي الغرناطي.
- مراصِد المَطالِع في تناسُب المَقاطِع والمَطالِع.
- تناسُق الدُّرر في تناسُب السُّور؛ للسُّيوطي.
- مصَابيح الدُّرر في تناسُب آيات القُرآن الكريم والسُّور؛ للشَّيخ عادل بن محمَّد.
- علم المُناسبات في السُّور والآيات؛ للدُّكتور محمَّد بازمول.
- إمعان النَّظر في نِظام الآيات والسُّور؛ للدكتور محمَّد عناية الله سبحاني.
- دلائِل النّظام؛ للشَّيخ عبد الحميد الفراهي الهندي.
- المُناسبات بين الآيات والسُّور؛ فوائِدُها وأنواعُها وموقِف العُلماء مِنها؛ للدُّكتور سامي عطا حسن.

وممَّا سَبق من التَّعريفات نقف على أنَّ عِلم المُناسَبة يتحدَّثُ عن مُناسَبة الآية مع الآية التي تَليها والتَّناسُب بين هذه السُّورة والسُّورة التي قَبلها أو السُّورة التي بعدها، فعلى سَبيل التَّمثِيل لا الحصرِ تَنقُل هذه المُناسَبة بين سُورتيْ الكهف والإسراء، فلِم جاءت سُورة الكهفِ بعد سُورة الإسراء؟ فيُجيبُ المُجِيب؛ تبدأُ سورة الإسراء بـ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء:1] وفي نِهايتها: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء:111] وسورة الكهف تبدأُ بعدَها بـ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:1] وتتبعًا لهذه الآيات نجِد؛ سبحان الله، الله أكبر، لا إله

[1]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط1، القاهرة 1376هـ – 1975م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج1، ص36.

[2]– ينظم: عبد الرحمن بن معاضة الشهري، أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود، علم المناسبات في القرآن الكريم.

إلا الله، وهي الباقيات الصّالحات، وهو ما ورد في سُورة الكَهف: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾ [الكهف:46] إذن فموقع سورة الكهْف بعد سورة الإسّراء هو موقع مناسب ومتوافق جدًّا، ويُسمى تبريرُ هذا التَّرتيب بالتَّناسُب.

بينما عِلم المُقارنة هو الذي يقارن فيه أستاذنا المستغانمي بين مضمُون سورة الإسراء التي تبدأُ بـ: "سبحان الذي أسرى" وبين مضمُون أسرة المُسبِّحات السَّبع[1] – وذكرت هذه المقارنة هنا على سبِيل المِثال لا الحَصر – وسنُورِد أمثلةً عديدةً حول المُقارنات التي عقدها الأستاذ مستغانمي بين السُّور التي تنتمِي لأُسرٍ واحدة، لكن قبل ذلك يجدُر بنَا أنْ نُقدِّم تعريفًا بسيطًا للمنهج المُقارن الذي اعتمدَه الأستاذ المستغانمي في هذه المُقاربة التّفسيرِية.

2-4- تعريف المُقارنة:

2-4-1- المقارنة لغةً:

تتضمّن المقارنة في اللّغة عدّة معاني، منها: الاقتران والمُصاحبة، والوصل. يُقال: قارن الشّيءُ الشّيءَ مقارنةً، وقِرانًا: اقترن به وصاحَبَه، واقترن الشَّيءُ بغيره وقارنتَه اقترانًا: صاحبتَه، وقرَنْت الشَّيء بالشَّيء: وصلته[2].

2-4-2- المُقارنة اصطلاحًا:

فهي "عمليةٌ ذِهنيةٌ تَقوم على ربطِ موضَوع بآخرَ، برابطٍ واحدٍ أو أكثر لاستِخراج أوجُه الشَّبه والاختِلاف بينَهُما، وقد يشْمَل هذا الرَّابط موضُوعين أو أكثر" .[3]وإسقاطًا لهذا التّعريف على المُقارنة التّفسيرية للأستاذ المستغانمي نجِده قد عَقَدَ مُقارنة بين سور الأسرة الواحدة بُغيَة إيضَاح العلاقات والرَّوابط المضمُونِية واللّفظية بين مجمُوعات السُّور القرآنية التي أُطلق عليها (الأسر القرآنية) وقبل التَّعرُّض لهذا التَّصنيف تحسُن الإشارة

---

[1]– أسرة المسبِّحات السَّبع؛ هي السُّور التي تبدأ بـ "التَّسبيح" وهي؛ الإسراء، الحديد، الحشر، الصَّف، الجمعة، التَّغابن.

[2]– أبو الفضل محمَّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت، 1414هـ، ج13، ص336.

[3]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ج2، ص405.

إلى التّصنِيفات المشهورة لسُور القُرآن الكريم وأشهرها هو التقسيم المكّي والمدنّي؛ وهو ترتيبٌ زمانيٌّ ومكانيٌّ عام، وهذا يحيى بن سلام البصري (ت 200هـ) يقول مُعرِّفا هذا التَّصنيف: "ما نزلَ بمكّة وما نَزل بطريق المدينة قبل أنْ يبلُغ النبّي المدينة فهو مكّي وما نزلَ على النَّبي في أسفاره بعدَما قدِم المدينة فهو مدنّي."[1]

وعددُ السُّور المكّية: اثنان وثمانون (82 سورة) أمّا عدد السّور المدنيّة فعشرون (20 سورة)، أمّا الاثنا عشر الباقية فمختلفٌ فيها وهي: الفاتحة، الرَّعد، الرَّحمن، الصّف، التَّغابن، المطفِّفين، القدر، البيّنة، الزَّلزلة، الإخلاص، الفلق، النَّاس، ولنا في هذا السِّياق أن نورد الفوائد المرجوة من علم المكّي والمدنّي:

1- بمعرفة المكّي والمدنّي يُعرَف النّاسخ والمنّسُوخ.

2- عِلم المكّي والمدنّي يُعِين الدّارس على معرفة التشّريع.

3- الاستعانة به في تفسير القُرآن وفهمِ معانيه.

4- تذوُّق أساليب القُرآن والاستفادة منها في أسلوب الدَّعوة.

5- الوقوف على السّيرة النَّبوية من خِلال الآيات القرآنية.

كما أنَّ هُنالك تصنيفًا آخر، وهو تقسِيمٌ يتناسَب مع التَّرتيب التَّوقيفي للمُصحَف الشَّريف – على المشهور –وهو التَّقسيم الذي يجمع مِقدار الطُّول للسُّور وترتِيبها في المصّحف الشّريف، وقد استنَد – بمُقتضاه – العُلماء في تقسِيم السّور القرآنية إلى ما رواه الإمام أحمد في المُسند بسَندٍ حَسنٍ عن واثلة بن الأسقع أنَّ النبّي ﷺ قَال: "أعطِيت مكان التَّوراة السَّبع، وأعطِيت مكان الزَّبور المَئِين، وأعطِيت مكان الإنجيل المَثانِي، وفُضِّلتُ بالمُفصَّل" وتقسِيم السّور اعتمادًا على ما سَبق هو كالتالي:

- الطِّوال: البقرة، آل عِمران، النّساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، وقيل براءة، وقيل يونس.
- المِئُون: وهي فئة السّور التي تزيد على مئة أو قريب منها.
- المثَّاني: وهي السّور التي ثنت المئين ووليتها.

[1]- عثمان بن سعيد الدَّاني، البيان في عدِّ آي القرآن، ط1، الكويت، 1994م، ص132.

- المُفصَّل: وهو من الحجرات أو ق – على خلاف –إلى النّاس، وهو أقسامٌ أيضًا:
  - طِوال: من الحُجرات إلى النّبأ أو الطارق.
  - أوْساط: من النّبأ أو الطّارق إلى الضحى أو البيّنة.
  - قِصار: من الضحى أو البيّنة إلى النّاس.

وهذا التَّرتيب السّالِف الذِّكر هو الذي اعتمدَه علمَاء المناسبات بين نهايات السُّور وبداياتها وبين بداية السّور ونهايتها، وقد جعلوا التَّرتيب التَّوقيفي للسُّور القرآنية مُنطلقا لهم في تفاسيرهم الموضُوعية واعتمدوا كذلك على الجانب الكمِّي للآيات.

أمّا مقاربة الأستاذ صافي التّفسيرية الجديدة فقد اعتمدت تصنيفًا جديدًا مبنيًا على معايِير أخرى لها قدْر من الإطراء، متجاوزًا التَّقسيم المكّي والمدنّي، ولكن من غير إقصَاء لخصائِصه ومُميِّزَاتِه كما تجاوز التَّقسيم الكمّي المُتوافق مع التَّرتيب التَّوقيفي للمُصحف الشّريف، ولكنَّه استغلَّ منه معيار المناسبة بين السّور، ووظف أنماطًا من التّرابط المَوضُوعي بين فئاته[1]، وفيما يلي تصنيف السُّور القرآنية وفق ما اعتمدته مُقاربة الأستاذ المستغانمي التّفسيرية:

القِسم الأول: السُّور المتشابهة المطالع:

- أسرة الحمد: الفاتحة، الأنعَام، الكهْف، فَاطر، سبَأ.
- أسرة يَا أيّها النَّاس: النّساء، الحَجّ.
- أسرة يَا أيّها الذين آمنوا: المائدة، الحُجرات، الممتحنة.
- أسرة المسبِّحات: الإسراء، الحديد، الحشْر، الصّف، الجمعة، التغابن، الأعلى.
- أسرة تبارك: الفرقان، المُلك.
- أسرة يَا أيّها النَّبي: الأحزاب، الطّلاق، التّحريم.

[1]– ينظر: أحمد صافي المستغانمي، جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّور.

- أسرة لا أقْسم: القيامة، البَلد.
- أسرة وَيْل: المطفِّفين، الهُمزة.

القِسم الثَّاني: السّور المتشابهة الفواصل:

- أسرة: الإسْراء، الفرقان.
- أسرة: الكهْف، الجنّ، طه، النّجم، الأعلى.
- أسرة: اللَّيل، الضُّحى.

القِسم الثَّالث: السّور المُفتتحة بأنساقٍ تعبِيريةٍ مُتشابهةٍ:

- أسرة: الصّافات، الذّاريات، المُرسلات، النّازعات.
- أسرة: الواقعة، التَّكوير، الانشقاق، الانفطار، الزَّلزلة.

إذًا فالمُلاحظ ممَّا سبق ذِكرُه عن التَّصنيفات السَّابقة أنَّ المُقاربة التّفسيرية الجدِيدة قد اعتمدت معاييرَ تصنيفيةً خالفت بها المعاييرَ التّصنيفيةَ السّابقة، فنجِدها قد تبنّت روابِط لفظيةً ومضمُونيةً تجمع سُور الأسر القرآنية الواحِدة، وفي هذا الصَّدد يقول الأستاذ مستغانمي: "كلُّ أسرة لها مُميّزاتها التَّعبِيرِية، ولها وشائِجُها المضمُونية، ولها أنماطُها وأنساقُها اللُّغوية، ولها قامُوسها اللُّغوي الذي يُميزها وكلُّ أسرة قرآنية تتمتَّع بذات الأوصاف التي تتميَّز بها الأُسرُ البَشرِية أو الكائِنات الحيّة التي تنحدِر من السُّلالة نفسِها أو من الأرُومة ذاتِها"[1].

[1]– أحمد صافي المستغانمي، جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّور، ط1، بيروت: 1439هـ –2018م، ص 20.

3- المُصطلحات المفاتيح في الدِّراسة:

3-1- تعريفُ الرّبط:

3-1-1- الرّبط لغةً:

جاء في لِسان العرب ورود اشتقاقات ومعانٍ متعددة لمادَّة (ر ب ط)، فربط الشيء يربِطه، ربطا فهو مربوط وربيطٌ، ودابّةٌ ربيطةٌ، أي: مربوطة، والرِّباط ما رُبط به: والمِرْبَطَةُ، لطيفة تشدُّ فوق الخشب، مثل المَلزمة، وقال: والرّبيط: الزَّاهد والحكيم الذي يربط نفسه عن الدُّنيا، أيْ: يشدُّها ويمنعُها، ونفس رابط، واسِعٌ أريضٌ، وقال الزّجاجي: الرَّبيط الزَّاهِد كأنَّه ضِدُّ الرَّبيط الرَّاهِب."[1]

وقد ورد في المعجم الوسيط عدَّة معانٍ لجذر "ربط" منها ما وافق المعاجم القديمة ومنها ما هو حديث، فقد قيل رابط الجأش؛ أي: شجاع قويُّ القلب، ونفس رابط واسع عريض، والرّابطة العلاقة والوصلة بين الشَّيئين والجماعة يجمعهم أمرٌ يشتركون فيه، فيقال رابطة الأدباء ورابطة القرّاء ونحو ذلك. وقد ورد الرّابط في الفلسفة بمعنى إحداث علاقة بين مُدرَكَيْن لاقترابهما بالذِّهن بسبب ما، يُقال: رابطة الأدباء ورابطة القرَّاء... إلخ، والمرابطة: الجمع من النَّاس، والرِّباط: ما يُربَط به، والرَّبطة: الحزمة، والرَّبيط: الدَّواب المربوطة، والجمع ربائِط وارتبط فرسًا: اتّخذه للرِّباط أي لمرابطة العدوِ[2]". وممّا سبق الحيث عنه ندرك أنَّ المعاني التي دارت حولها مادَّة (ر ب ط) في المعاجم الحديثة والقديمة تمحورت حول الشَّدّ والسَّدِّ والمواظبة والملازمة والقوَّة والسَّعة والثَّبات والوصل، وهي في أصلها معانٍ تتوافق مع المعنى الاصطلاحي للكلمة.

3-1-2- الرّبط اصطلاحًا:

ضبطًا للمصطلح ننقل ما تداوله القدامى والمُحدثون حول معنى الرّبط اصطلاحًا، فيرى ابن السَّرّاج (ت316هـ) في أصول النّحو أنّه لا يعدو أنْ يكون مجموعة أدوات تؤدّي إلى ربط المفردات والجمل بعضها

---

[1]- ابن منظور جمال الدين محمَّد بن مكرم المصري، لسان العرب، تح: أمين محمَّد عبد الوهاب، ومحمَّد الصادق العبيدي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط2، 1997م.

[2]- مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، 1978م، مادة ربط.

ببعضٍ إذ قال:" واعلم أنّ الحرف لا يخلو من ثمانية مواضيع، إمّا يدخل على الاسم، مثل الرّجل، أو الفعل وحده مثل سوف، أو يربط اسما باسمٍ جاءني زيدٌ وعمرو، أو فعلاً بفعلٍ، أو فعلًا باسمٍ، أو على كلامٍ تامٍّ، أو يربط جملة، أو يكون زائدًا"[1].

أمّا ابنُ جنيٍّ(ت392ه) فلم يتعرّض لتعريف الرّبط مباشرة، إنّما اكتفى بإطلاقه على الفاء الواقعة في جواب الشَّرط، حيث قالّ:" إنّما دخلت الفاء في جواب الشَّرط توصُّلا إلى المجازاة بالجملة المرَّكبة من المبتدأ والخبر أو الكلام الذي يجوز أنْ يبتدئ به، فالجملة في نحو قولك: إنْ تُحسن إليَّ فالله يكافئك. فلولا الفاء لم يرتبط أوَّل الكلام بآخره"[2].

بينما تحدّث الزَّمخشري (ت538ه) في المفصّل عن الرّبط بشكلٍ واضح من خلال الحديث عن أدوات الشَّرط غير الجازمة "لو، لولا"؛ حيث قال:" ولام جواب لو ولولا، نحو قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22] فدخولها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى"[3].

وحاصل ما سبق نقلاً عن القدامى في معرض حديثهم عن الرّبط تبيّن أنّ الرّبط– بالنِّسبة لهم–لا يعدُو أنْ يكون أداةً نحوية تربط بين عناصر الجملة الواحدة، أو بين جملة وأخرى في إطار النّصِّ الواحد.

ومن المُحْدثين الذين تعرّضوا لمصطلح الرَّبط، وأشاروا إليه؛ تمّام حسّان الذي اعتبر الرّبط أحد القرائن اللَّفظية، حيث قال في كتابه اللّغة العربيّة معناها ومبناها: "يعتبر الرّبط قرينة لفظية على اتِّصال أحد المترابطين بالآخر، وبين الحال وصاحبه، وبين المنعوت ونعته، وبين القسم وجوابه، وغيرها"[4]

---

[1]– أبو بكر محمَّد بن السَّرّاج، الأصول في النّحو، تحقيق: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1985،1م، ج1، ص42.

[2]– أبو الفتح عثمان بن جني، سرّ صناعة الاعراب، تحقيق؛ حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق سوريا، ط1، 1985، ج1، ص253.

[3]– أبو القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري، المفصَّل في علم اللُّغة، تعليق: محمَّد عزّالدين السعيدي، دار إحياء العلوم، بيروت لبنان، ط1، 1990، ص 390.

[4]– تمَّام حسان، اللُّغة العربية معناها ومبناها، دار الثَّقافة، الدَّار البيضاء، المغرب، د ط، 1994، ص213.

ويرى مصطفى حميدة أنّ الرّبط: "هو اصطناع علاقةٍ سياقية نحوية بين طرفين باستعمال أداة تدلُّ على تلك العلاقة"[1]

ليأتيَ حسام البهنساوي ويؤكِّد:" أنّ الرّبط يعدُّ وسيلة لفظيّة هامّة من وسائل الاتّصال بين التَّراكيب اللغوية"[2] ومن كلِّ ما سبق الخوض فيه نستنتج أنّ الرّبط اصطلاحا هو: وصل الشَّيء بالآخر، وتعلّق الكلام ببعضه البعض بواسطة مجموعة من الأدوات والعلاقات.

3-2- أنواع الرّوابط:

تعدَّدت طُرق الرّبط في النِّظام اللُّغوي، فبعضُها يعتمِد على الفهمِ والإدراك الخفيّ للمُترابِطات وبعضُها يعتمِد على الرّوابط أو الوسائل اللُّغوية المحسُوسة، وهذا يدلّ على أنّ الرّوابط نوعان:

3-2-1- الرّابط اللّفظي:

يرى النُّحاة المُحْدثون أنّ هنالك مصطلَحَين لهُما علاقةٌ بالرّبط اللّفظي والمعنَوي، وهما (الرّبط والارتِباط)[3] كما ضمّ تمّام حسّان مصطلح "الرّبط" إلى القرائن اللّفظية بعدما قام بتمييز القرائن اللّفظية والمعنوية وتمثّلت القرائن اللّفظية – حسبه – في الأداة والعلامة الإعرابية، والمُطابقة، والرّبط والتّضام، والبنية، والنّغمة في الكلام وهذه معروفة كلُّها عنده بالرّوابِط اللّفظية، فالرّبط عنده:" قَرينَة لفظِية تدلُّ على اتِّصال أحد المُترابطَيْن بالآخر وهي العلاقة التي تؤدّيها بعض العناصر اللّفظية، فتُعين على فهم الجملة بربطها بين أجزائها" .[4]

أمَّا مُصطفى حميدة فقد قدَّم تعريفًا للرَّوابط اللَّفظية مفادُه:" أنّها علاقاتٌ لفظِّيةٌ تصطنِعُها اللّغة بطريقتيْ الأدوات أو الضَّمائر تدلُّ على تلك العلاقة، ويكون لأمن اللَّبس في فهمِ الانفِصال بين معنَيَيْن، أو اللُّبسِ في

[1]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية للنشر، مصر، ط1، 1997، ص143.

[2]- حسام البهنساوي، قواعد الربط وأنظمته في العربية ونظريات الربط اللغوية الحديثة، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1، 2008، ص9.

[3]- ينظر: مصطفى حميدة، نظام الرّبط والارتباط في ترتيب الجملة العربية، ص 154-204.

[4]- تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، 2006م، ص 191-231.

فهمِ الارتِباط بين مَعنيَينِ"[1]. ويُطلق النُّحاة على الضّمير، أو ما ينُوب عنه من الألّفاظ الرّابطة تَسميةَ (الرّابط) أيْ الرّابط اللَّفظي، والرّوابط اللّفظية متعدّدة عند النُّحاة منها حروف العطف والجرّ والضَّمائر والأسماء الموصولة، إلَّا أنّ الضّمير هو الأصل من بينها، ثمَّ تنُوب عن الضَّمير ألفاظٌ جعلهَا النُّحاة روابطًا.[2]

فالمُتأمل نحوياً في قولِنا: الأساتذة أطّرَوا امتحان شهادة البكالوريا، يجِدُ أنَّ هُنالك رابطًا لفّظيًا يربِط المُبتَدأ (الأساتذة) بالخَبر (أطّروا..) مُتمثلٌ في واوِ الجماعة المُتّصل بالفِعل أطَّروا. فالرّوابط اللّفظية هي أدوات الرّبط الملفُوظة المُتمثِّلة في مجموعة من الحُروف والضَّمائر، وهي في اللّغة تُقابل الأدوات اللُّغوية والبيانِية.[3]

3-2-2- الرّابط المَعنوي:

هو الرّابط الذي يُدرَك بالعقل لا الحسّ، واقترح لها المُحْدثون مُصطلح "الارتِباط" الذي يقصِدُون به "نُشوء علاقةٍ نَحويةٍ بين معنييْن بلا واسطةٍ لفظيةٍ، فهي أشبهُ بعلاقةِ الشّيءِ بنفسِه، أو تشبه علاقة صدر الكلمة الواحدة بعجزها[4]، أيْ أنَّها روابطٌ غير ظاهرة. ويرى تمّام حسّان أنَّ الوظائف التي تُؤدِّيها القرائن المعنوية هي الانسِجام[5]، والأخير هو ذلك المعيار الذي يختصُّ بالاستمرارية المحقِّقة للنّصّ، ويقوم الانسجام النّصّي عن طريق تحقّق العديد من العلاقات الدّلاليّة بين أجزاء النّصّ فمثلاً، تتشكَّل (الجملة الإسنادِية) من وِحدتين (مُسندٌ) و(مسندٌ إليه)؛ فارتباطُ أَحدِهما بالآخر لم يكُن بواسطة لفظِيةٍ ملفُوظةٍ، وإنَّما بعلاقة ضمنيةٍ معنويةٍ خَفيةٍ ملحُوظةٍ تُدرَك بالعقل هِي الإسنَاد[6]. وقد قيّده بعض الباحثين بالرّبط البيانيّ بين جمل النّص الواحد، حيث أنّه يطلب النَّظر إلى علاقات خفيّة قائمة داخل النّصّ المراد دراسته، فيهتمُّ بترابط المفاهيم والعلاقات الدّلالية المتحقِّقة داخله، وذلك بربط أجزائِه ربطًا دلاليًا أيْ بين الجُمل والسِّياقات، أو الرّبط بين نصَّين فأكثر في إطار مُدوَّنة

---

[1]- حميدة مصطفى، نظام الرّبط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ص21.

[2]- المرجع نفسه، ص 154-204.

[3]- تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 190-260.

[4]- حميدة مصطفى، نظام الرّبط والارتباط، في تركيب الجملة العربية، ص161.

[5]- ينظر: العارف عبد الرّحمان حسن، تمام حسان، كتاب تذكاري، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002م، ص 44-45.

[6]- ينظر: الاستراباذي رضي الدين، شرح الرضى على الكافية، ص 1-32.

كُبرى، ونُشِير هنا إلى قضيَّة الرّبط بين سُور القُرآن الكريم التي عبّر عنها الأستَاذ صافي المستغانمي بمُصطلح القرابة بين السُّور القرآنية، ومن وسائل الرّبط المعنوي (الانسِجام)؛ العلاقات المُتعدِّدة (الإسْناد، التّضاد، التَّرادُف التَّتابع والتَّماثل)، ونجِد كذلك السِّياق وما يندرِج ضِمنه (المُرسل، المرسَل إليه، الزَّمان، المكان).

ونأتي في الأخير لتوضيح أشكال الرّبط اللُّغوي (اللّفظي والمعنوي) في مخطَّطَين يُلخِّصان ما سَبقَ:

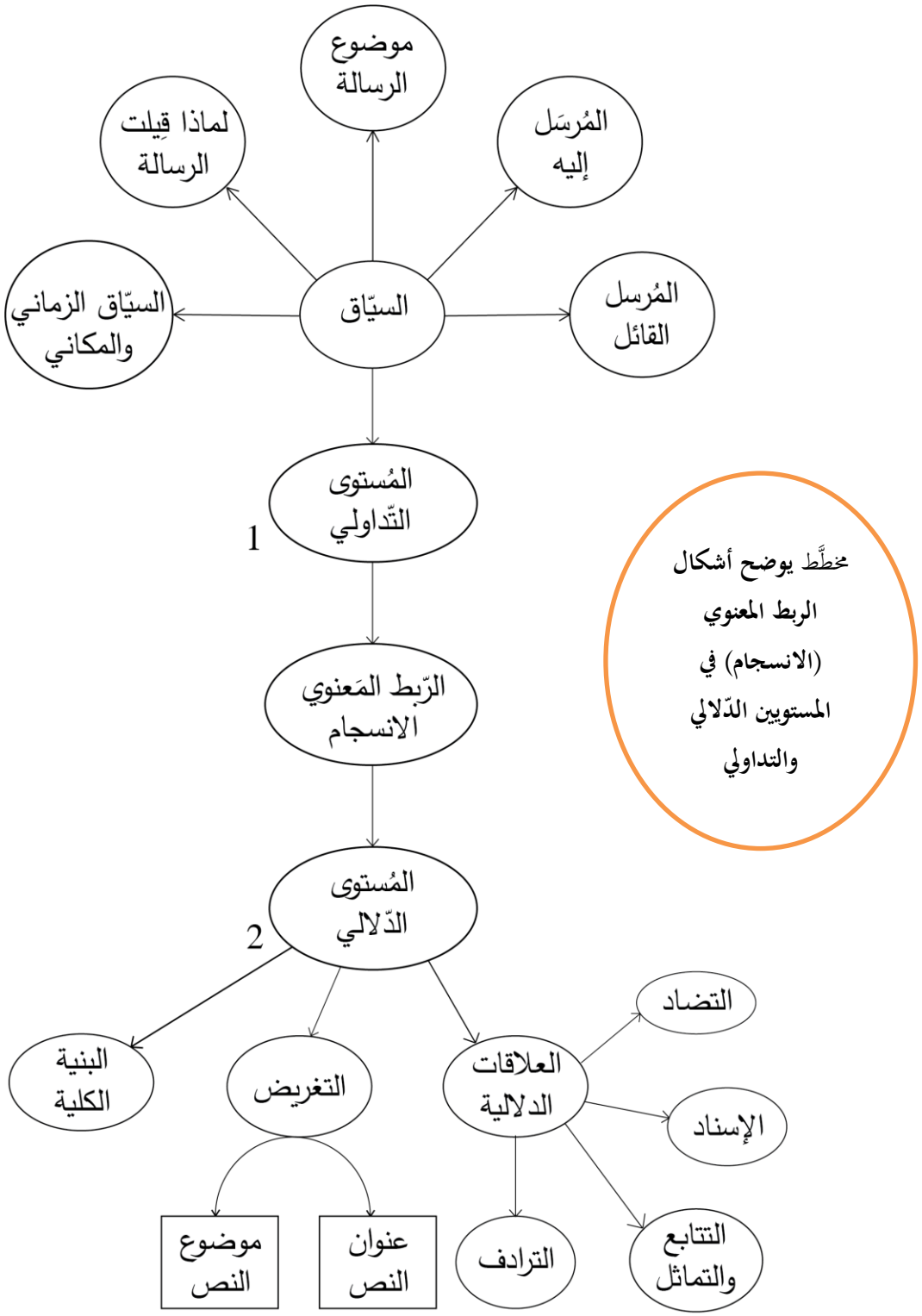

مخطَّط يوضح أشكال الربط المعنوي (الانسجام) في المستويين الدّلالي والتداولي

مُخططٌ يوضِّح أشكال الرّبط اللّفظي ومُستوياتِه الثَّلاث (الصّوتي، النّحوي، المعجَمي)

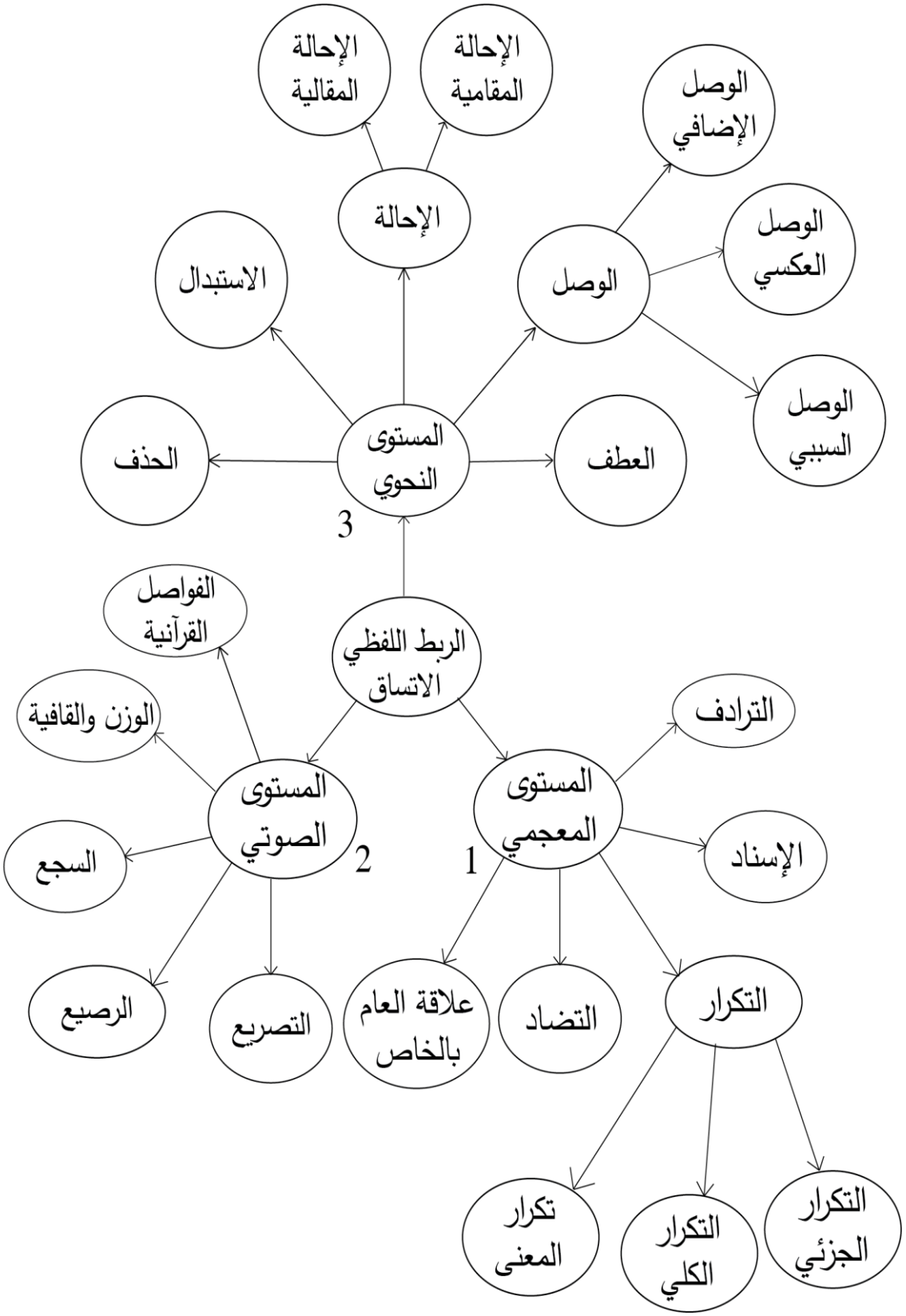

الفصل الثَّاني:

الرّوابط اللّفظية والمضمُونية المعتمدَة في المقَاربة التّفسيرِية

1- الرّبط في المستَوى الصَّوتي.

- الفواصِل القُرآنية.

2- الرّبط في المستَوى النّحوِي.

- الإحَالة.

3- الرّبط في المستَوى المعجَمي.

- التَّكرَارُ.
- التَّضامُ.

4- الرّبط في المستوى الدَّلالِي.

- العلاقات الدَّلالية

مقدّمة:

بعد التَّطرّق إلى التّعريف بالمُقاربة التّفسيرية التي جَاء بِها الشّيخ صَافي المستغانمي، وقُمنا بوضع إطارٍ معرفيٍّ لها، ثمَّ عرَّجنا على مفهوم الرّوابط اللّغوية والمضمُونية وأهمِّ عناصِرها، سيحاول هذا الفصل، استِنبَاط الرّوابط اللّفظية والمضمُونية على المُستويات؛ النّحوية والصّوتية والنَّحوية والمعجَمية والدّلالية، فقد قامت دِراسة الشّيخ صَافي على رُؤية تأصِيلية للرَّوابط المضمُونية واللّفظية لمجمُوعات الأُسر القرآنية، ووظَّف الأستاذ المستغانمي هذه الرّوابط لإثبات القرابة بين مجموعات الأسر القرآنية حيث يقول: "والبحثُ المتأنّي والتّلاوة المتدبِرة تقُودان إلى اكتِشاف روابِط وطيدةٍ، وأواصر وثيقة ووشائج قُربى توجد بَين السُّور المتشَابهة المَطابِع، هنالك نسيجٌ لغويٌّ مُوحَّدٌ يجمع سورتَيْ الفُرقان والمُلك ويميزهما عمَّا سِواهما من سُور القُرآن الكريم، ويجعلهما تنتمِيان إلى أسرة واحدة كأنَّهما أخوانِ أُرضِعا من لِبَان واحِد، فهُما تَشتركان في الثّوب اللّفظيّ في الألفاظ المستَعملة، في أنساقٍ تعبيرية تخصّهما، تلتقيان في بلورة مضامِين معرفية متقَاربة تَعرضان الموضُوعات نفسَها، أحيانًا تكمِّل إحداهما الأخرى، وتارة تُفصِّل إحداهما ما أوجزته قسيمتها مِن نَفس الأسَرة القرآنية"[1].

وكلامُ الأستاذ السّابق لا ينطَبِق على سُورتي الفُرقان والمُلك فقط بل تحدّث عنهما على سبيل المِثال لا الحَصر ، فكلامُه ينطبِق على جميع السّور المتشابِهة المَطالع، وقد سَبق الحديثُ عن التّصنيف الجَديد الذي جاء به أستاذنا صَافي المستغانمي واعتمد فيه على أدوَات الرّبط اللّغوية (اللّفظية والمَضمونية) التي سنسعى لاستنبَاطِها وتصنيفها ووَضعِها في المُستوى الخاصّ بها، انطلاقًا من المستوى الصّوتي ومُرورًا بالمُستوى النّحوي والمعجمي ختامًا بالمُستوى الدّلالي الذي يمثِّل الجانب المضّموني من هذه الرّوابط اللّغوية.

[1]– محمَّد صافي المستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور، ط1، بيروت، 1439هـ –2018م، ص20.

المبحث الأول:

1- الرّبط في المُستوى الصّوتي:

للقرآن الكريم مَسحةٌ خلّابةٌ عجيبةٌ، تتجلّى في نظامِه الصَّوتي، وجماله اللّغوي "ويُراد بنِظام القُرآن الكريم الصّوتي اتّساق القُرآن وائتِلاف حركاتِه وسكناتِه، ومَدَّاته وغُنَّاتِه، واتِّصَالاته وسكناته، اتّساقًا وسبكًا عجيبًا يستدعِي الأسماعَ ويستهوِي النُفوس بطريقة لا يمكن أنْ يصِل إليها أيُّ كلام آخر منظوم أو منثور، وما هذه الفواصل التي تنتهي لها آيات القُرآن الكريم إلاَّ صُور تامَّة للأبعاد التي تنتهي بها جُمل الموسيقى وهي متّفقة مع آياتها في قرار الصَّوتِ اتفاقًا عجيبًا".[1]

1-1- الرّبط بواسطة الفواصِل القرآنية:

1-1-1- تعريف الفاصِلة القرآنية:

1-1-2-لغةً: جاء في تعريف مادةِ (ف- ص- ل) تعريفات عدّة ننقل منها ما يلي:

1- الأزهري (ت 370هـ): بقوله: "فصَّلت الوِشاح، إذا كان نظمه مفصَّلًا، بأن يجعل بين كلِّ لُؤلُؤتين كمُرجانة، أو شذرَة أو جوهرة، تفصِل بين اثنين من لونٍ واحدٍ"[2]، وقولِه تعالى: "كتاب فصلت آياته" (سورة فصلت/ 3)، " له معنَيان أحدُهما: تفصَّل آياته بالفواصِلِ، والمعنى الثاني: فصّلنَاه: بيَّناه".[3] فالفاصلة لغةً تحمِل معانِي الفصْل بين شيْئين، وقد تنوَّعت التّعارِيف حول ذلك الفصلِ لتدلّ على أنّ:

---

[1]- ينظر: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النَّبوية، دار المنار للطَّبع والنَّشر، ط1، 1417هـ/ 1997م، ص171.

[2]- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللُّغة، تح: أحمد البردوني وعلي الجاوي، د ط، الدَّار المصرية للتَّأليف والتَّرجمة، القاهرة، د ت، ج12، ص193. مادَّة (ف ص ل).

[3]- المرجع نفسه، ص194.

- الفصْل يدلُّ على تمييز شيءٍ عن شيءٍ، وفيه معنى الإبَانة. ولا يعني التَّمييز والإبانة بين الشَّيئين أنّهما مختلفان عن بعضهما، بل قد يكون بينهما اتّصال وترابُط.

1-1-3- اصطلاحًا: تنوّعت تعريفات العُلماء للفاصلة قديما وحديثا، فعرَّفها الزَّركشي: بقوله: "هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع"[1]. وقال أبو عمرو الدَّاني: "أمّا الفاصلة فهي الكلام المُنفصِل عمّا بعده والكلام المُنفصل قد يكون رأَس آية، وغيرها، وكلُّ رأس آية فاصلة، وليس كلُّ فاصلة رأس آية"[2]. أمَّا فضل عبَّاس فقال: "يقصد بالفاصلة القرآنية ذلك اللَّفظ الذي ختمت به الآية"[3]. وممّا سبق ذكره نُلاحِظ أنّ موقع الفاصِلة هو آخر الجُملة، وهي في القُرآن الكريم آخر كلمة الآية، أيْ أنَّها تُوضَع بعدها علامَة الفصل بَين الآية والآية. وأنَّ دَور الفاصِلة يسهم في تعيين المعنى. كما أنَّها جزء من التّشاكل والتّشابه في الحرُوف والمقاطع. ودورٌ في استراحَة الكلام.

1-1-4- الفرق بين الفاصِلة والقافية والسّجع:

يَجدُر بنا الإشارة إلى هذا الفرق الملحوظ بين هذه المسمّيات المتداخلة، فالفواصل – كما أجمع العلماء– لا تسمّى قَوافِي، لأنَّ الله تعالى نزّه القُرآن الكريم أنْ يكون شِعرًا فقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: 41]، وتنزِيه العَزيز الحَكيم القُرآن عن الشِّعر يقتضي سلْب القافِية عنه أيضًا، فالقافية من الشِّعر، وسُميت فواصل الشّعر بالقوافي، لأنَّ الشّاعر يقفُوها، أي يتّبِعُها في شِعره فلا يَترُكها ولا يخرج عنها، لأنها تَفصِل آخر الكَلام، فالقافية أخصُّ في الاصطلاح، فكلُّ قافِية فاصِلة، وليس كل فاصِلة قافِية.

---

[1]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، محمَّد أبي الفضل الديماطي، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، مصر 2006، (د ط)، ص50.

[2]– كمال الدِّين المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1999م، ص9.

[3]– إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عبّاس وسناء عبّاس، فهرس المكتبة الوطنيّة، عمّان،1991م، (د.ط)، ص225.

أمَّا ما بين الفاصلة والسّجع فالفارق بَيّنٌ، إذ تكون مقاطع الكلام في الفاصلة متقاربة في الحروف كما في قوله تعالى: ﴿ومَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطَّلاق:2-3] أما السّجع، فتكون مقاطع الكلام فيه متَّحدة في الحروف[1]، أيْ أنّ الفاصِلة تكون متقاربة الحروف والسّجع يكون متماثِل الحروف[2]. فالفواصل أعمُّ من السّجع، إذ تتَّحِد في السّجع حروف المقاطع، أما الفواصل فتتقارب فيها حروف المقاطِع، وإلى هذا أشار ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) حينما قال: "الفواصل على ضَربَين: ضربٌ يكون سجعًا؛ وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضَربٌ لا يكون سجعًا، وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يخلو كلّ واحدٍ من هذين القسمين –أعني المتماثل والمتقارب– من أن يأتي طوعًا سهلًا وتابعًا للمعاني، وبالضِّد من ذلك، حتّى يكون متكلفًا يتبَعه المعنى، فإن كان من القِسم الأول فهو المَحمُود الدّال على الفصَاحةِ وحُسن البيان، وإنّ كان من الثّاني فهو مذموم مرفوض"[3]. ففواصِل القُرآن الكريم عند الخفاجي كلُّها من البَليغ وألفاظه تابِعة لمعَانِيه، بخلاف السّجع الذِي تكون فيه المَعاني تابعةً للألفاظ.

1-1-5- أنواعُها:

1-1-5-1- الفواصِل المتماثِلة:

وهي الفواصل المتماثلة بالحروف، لقوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ [الطور: 1-4] فالكلمات: (الطُّور، مسطُور، منشُور، المعمُور) تنتهي بفاصلةٍ واحدةٍ وهو حرف الرّاء، ويسمى الرّاء روِيًا.

---

[1]- ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص64.

[2]- ينظر ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م، ص173.

[3]- المرجع نفسه، ص172.

1-1-5-2- الفواصل المتقارِبة:

وهي الفواصل المتقاربة في الحُروف، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 3-4]، للتّقارب بين المِيم والنُّون في المَخرج.

1-1-5-3- الفواصل المتوازية:

وهو اتِّفاق الكلمتين في الوَزن والحرْف، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ﴾ [الغاشية: 13-14]، فقد اتّفقت الكلمتان (مرفوعة، وموضوعة) في الوَزن والحرف.

1-1-5-4- الفواصل المتوازنة:

وهو مراعاة الوزن في مقاطع الكلام فقط : ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: 15-16] فقد اتّفقت الكلِمتان (مصفوفة ومبثوثة) في الوزن".[1]

1-1-6- أهمّيتها:

يظهر تَنوُّع استعمالات الفاصلة دورها في الإعجاز القرآني، فلو حُذِفت لاختلَّ المعنى الإجمَالي للآية، ولو سُكِت عنها لاستطاع القارئ والسّامع أنْ يختمه بها انسياقًا مع الطَّبع الرَّفيع والذّوق السَّليم قال الزّركشي: "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطَّريقة التي يُباين القُرآن بِها سائِر الكلام وتُسمى فواصل لأنّه ينفصِل عندها الكلامان"[2]. فالزّركشي يرى أهمّية الفاصلة كامنة في تحسين الكلام وإيصال الخطاب للسّامع دون تكلُفة وعناء، وتبرز أهمّية الفاصلة في اشتراطها مَعرِفتها لصحّة الصّلاة، كما أنَّها بقِيمتها الإيقاعِية المُوسيقية تؤدّي دور المفتاح في النّص الموسيقي، ولا وجه للمشابهة هنا بَين القُرآن والألحان المُوسيقية، إلَّا لتقريبِ المِثال، فالقرآن

[1]- ينظر؛ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص155.

[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص54.

زيد فيه براعةٌ في تنويعِ مفاتِيح البدء، والانتقال في السُّورة الواحِدة بِيُسرٍ وسُهولةٍ[1]. والفاصِلة وجهٌ من وجوهِ الإعجَاز التي يقعُ بها إحكام بِناء الآية شكلًا ومضمونًا (مَبنى ومعنى) فأمَّا لفظًا ومبنى فإنَّ ذلِك واضحٌ في جودة القُرآن وسَبكِه وحُسن نَظمه، ففي قول الحقِّ تعالى: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: 51] نلحظُ فاصِلة الآية مُفردة (عضدًا) مع أنّ سِياق الآية يتحدّث عن الجمعِ، وذلك لتناسُب فواصل الآيات التي قبلها وهي (موعدًا، أحدًا، بدلًا) فهي الألْيَن من حيث الالتحام مع سائِر الفواصِل، وكذلك من حيث المعنى لأنَّ المضامين جميعًا هم من الهَوان والذُّل بموضعٍ يستغني الله عن معُونتِهم فواحدهم فيه كجمعِهم.[2]

والذّي يهمُّ هذه الدِّراسة هو الدّور الذِي تُؤديه الفواصل في تلاحُم الآيات ببعضِها البعض، ببيان الدَّور الذي تؤدِّيه الفواصل القرآنية في إثبات القرابة بين السُّور التي سمّاها الأستاذ مستغانمي بالسُّور المُتشابِهة المطالِع، وقد قسَّمها حسبَ تشَابُه فواصِلها إلى:

- سورتي؛ (الإسرَاء والفُرقان).
- سورتي؛ (الكَهف والجِن).
- سور؛ (طه، والنّجم، والأعلى، واللّيل، والضُّحى).

ومن خِلال أنواع الفواصِل التي سبق الحديث عنها، نحاول تفسير تصنيف الأستاذ مستغانمي ونبدأ مِن:

---

[1]– محمَّد الخفاجي، النسق القرآني – دراسة أسلوبية – رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، كلية الآداب، 1423هـ/2003م، ص86.

[2]– محمَّد العف، المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها –رسالة ماجستير–، الجماعة الإسلامية، غزة، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1430هـ/2009م، ص 39–40.

الفواصِل المُتماثِلة: وهي كما سبق الحديث عنها فواصِل متماثلة الحرْف الأخير وهناك من يُسمّيها رويًا. واعتمادًا على هذا التَّصنيف جعل الأستاذ صافي كُلًّا من؛ سُور النّجم والأعْلى واللّيل، والضّحى وطَه في إطارِ واحد، وسمّاها: أسرة طه وأخواتِها من ذَوات الألِف المقصورة اللّينة[1].

كما يُمكن عدُّ هذه الفواصل –باعتبار الوقف والإطلاق– ضمن أسرة الفواصل المُطلقة، وكما يمكن عدُّها –باعتِبار الوزن– من قَبيل الفواصِل المتوازِنة وهي الفواصل المتّفقة في الوَزن.

قال تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 1-3].

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: 1-2].

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: 1-3].

قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضُّحى: 1-3].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [اللَّيل: 1-3].

وبالنّظر إلى أَواخِر آيات هذه السّور (الفواصِل) نجد أنّها متوافقة الفواصل، إمّا باعتِبار حرف الرّوِي (آخر الفواصل) وإمّا باعتبار الإطلاق، وإمّا باعتبار الوزن، وهذا ما يسهم في تقوية اعتبار هذه السّور تنتمي إلى أسرة واحدة، فليس هذا التَّوافق من قبيل المصادفة، وإنّما هناك حكمٌ وأسرارٌ وراء توافق هذه الفواصل، ويسعَى الأستاذ في مقاربته إلى إيجاد دلائل لفّظية ومضمُونية تدلّ على صحّة تصنيفه، فلم يكتف بتشابه الفواصل كدليلٍ، بل عدّها قَرينة لفظِية اهتدى من خلالها إلى هذه القرابة بين السّور الآنِفة الذّكر، وسيأتي ذِكر هذه الرّوابط اللّفظية والمضمُونية في مباحثها المخصّصة لها كلٌّ فِي موضِعه.

[1]– أمحمَّد صافي المستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور، ط1، بيروت، 1439هـ/2018م، ص329.

الفواصلُ المُتقارِبة: وهي الفواصِل المُتقاربة الحُروف، وهي فاصِلة الرّاء المفتوحة المسبُوقة بياءٍ أو واوٍ، وفاصلة اللّام التي نَلحظُها لكِن بشكلٍ أقلَّ مقارنةً بفاصلة الرّاء الطّاغية على السُورتَين؛ سور الفرقان وسورة الإسراء اللّتان عدّهُما الأستاذ صافي ضِمن أسرةٍ واحدةٍ استنادًا للتّشابه الكَبير بين فواصِلهِما (اللّام والرّاء).

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

وقال أيضًا: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 1-3].

ومن خِلال القيام بعملية إحصَائية لفواصل سُورتي الفُرقان والإسّراء البالِغتان على التّرتيب 77 و111، استطعنا الوُقوف على النّتائج الآتية:

فواصِل حرف الرّاء في سورة الإسراء قدِّر بـ 49 فاصلة، بنسبة مئوية تقدَّر بـ **44.14%.**

أمَّا عدد فواصل حرف اللّام في سورة الإسراء فقدِّر بـ 34 فاصلة، بنسبة مئوية تقدَّر بـ **31.54%.** أما بقيّة الفواصل وهي 28 فاصلة الباقية، فجاءت مُوزّعة بين؛ الميم والنّون والباء، والفاء والقاف والعين، بنسبة مئوية قُدّرت بـ **24.32%.**

فواصِل حرف الرّاء قُدّرت بـ 43 فاصلة من أصل 77 فاصلة بنسبة مئوية قدِّرت بـ **55.83%.**

أمَّا عدد فواصِل حرف اللّام في نفس السُّورة فبلغت 17 فاصلة بنسبة مئوية قدِّرت بـ **22.08%.** أمَّا باقي الفواصل البالغة 17 فاصلة فتوزَّعت بين الميم والباء والنون. فمجموع نسبتيّ حرف الراء في الفاصِلتين هو: **99.97%.**[1]

[1]- محمَّد صافي المستغانمي، جواهر الدُّرر في علم مقارنات السور، ط1، بيروت، 1439هـ-2018م، ص305.

ومن كل ما سبق إحصاؤُه وتحليله نستنتِج مَا يلي:

– توافق السُّورتين في كونِ فاصلة الراء هي الطَّاغية على باقي فواصِلهما، يجعل السُّورتين تتَّفقان لفظًا إلى حدِّ (التَّلاحم والاتّساق بينهما، وإضافة إلى ذلك نُلاحِظ التَّوافق بين أوزان الفواصل القرآنية للسُّورتين السَّابقتين (شكورًا، كبيرًا، مفعولًا، نفيرًا، تتبيرًا، حصيرًا، كبيرًا، أليمًا)، (نذيرًا، تقديرًا، نشورًا، وزورًا، أصيلًا، رحيمًا)، فكلّ هذا حقَّق تلاحمًا صوتيًا ونغميًا جعل من السُّورتين قريبتَين قرابةً لا شكّ فيها.

– وإضَافة إلى ما سبق من تحليل النّتائج المُتوصَل إليها نجدُ أنّ نِسبة وجود حرف الرّاء في السُّورتين هو: **99.97%**، وهذا ما يدلّ دلالةً قطعيةً على التّكامل الصّوتي النغَمي بين السُّورتَيْن وهو ما يؤكِّد صحَّة نظريّة الأستاذ صافي المستغانمي.

– كما أنَّ وُجود نسبة معتبرة من فواصِل حرف اللّام في السُّورتين السّابقتين بحيث يبلغُ مجموع نسبتَيْهما في السُّورة **53.62%**. والمعلوم أنّ حرفي الرّاء واللّام متقاربَي المخرج، إذ يخرجان من طرف اللّسان، ويرى سِيبويه ومن تابعه أنّهما يخرجان مِن مخارِج مختلفة لكنّها متقاربة، ورأي الجرمي ومن تابعه أنّهما من مخرج واحد وأضاف لهما النُّون[1]، وحتّى فيما يخصُّ صِفتيهما نجد أنّهما متوافِقان في بعضِ الصّفات، فكلٌّ مِنهما مجهور متوسِّط الشّدة مناسبةً وموافقةً لِمضمُون السُّورتين اللّتين تتطلبان نوعًا من الجهرِ والتّوسُط في الشّدة؛ فالإسرَاء تمحوَرت حول شخصِ الرّسول وحادثة الإسراء والمعراج، وعرّجت على جوانب من شخصِه الكريم، وهذا ما يناسبه الجهر بالشّدة والقول فيه كون النّبي ﷺ تعرّضَ للصّد والمُجابهة من قِبل المشّركين، وهو ما استدعى الشّدة في هذا المَقام القرآني كمَا نجدُ حضورًا واضحًا لجملةٍ من التَّوجيهات الخُلقية (السّابقة) بالإفراد والجماعات، وهو ما استدعى

[1]– جمال بن براهيم القدش، دراسة المخارج والصفات، دراسة منهجية، مكتبة طالب العلم، مصر، ط1، 1433هـ/2012م، ص68.

الحضُور المكثَّف لِحرف الرّاء الذي من صِفاته التَّكرار، وهو الأنسب في هذا المَقام الذي يُؤكد على جملة التَّوجيهات الخُلقية السّابقة الذكر، وسورة الفُرقان "تُعنى بشؤون العقيدة، وتعالج شُبهات المُشركين حول رِسالة محمَّد ﷺ وحولَ القُرآن العظيم، كما أنّ مِحور السُّورة يدور حول آيات صِدق القُرآن الكريم، وصِحّة الرّسالة المحمَّدية، وحول عقيدة الإيمان بالبَعث والجزاء، وفيها بعض القصص للعظة والاعتِبار[1]، فجاءت حروف الفواصِل السّابقة تبعًا لهذه المعَاني الجمِيلة ومناسبةً لها، فالمَقام مقامُ جَهرٍ وقوّةٍ وشدّةٍ، كمَا أنّنا نجد أنّ الأُسلوب القرآني –خاصَّةً في هذه السُّورة الكريمة– كثيرًا ما يعمدُ إلى التّركيب تقريرًا للمعاني والأفكار المُساقة إلى المشركين لعلّهم يُوقنون، فناسب هذا المقام صفة التَّكرار التي يتّصف بها حرف الرّاء الذي صُبغت به فواصل هذه السُّورة الشّريفة.

– وممَّا يستنتج أيضًا من خِلال التّحليل الإحصائي لفواصل سورتَيْ الإسراء والفُرقان تماثلهما في فواصل المِيم والباء والنُّون، وقد جاءت نسبتاهما مُتقاربتَين وهذا يدلّ بوضوح على تلاحُم السُّورتين وتكاملهما لفظًا ومعنَى، وكما هو معلوم أنَّ للميم والباء المخرج نفسُه، مع اختلافٍ بسيطٍ في طريقةِ حُدوث الصّوت، فتخرُج الباء من بين الشَّفتين معًا حالة إطباقِهما بِقوّة من جهة داخل الفم، أمّا الميم من بَين الشّفتين معًا بانطباقهما من وسطيهِما وهي أقلّ مِن الباء. [2]

المبحث الثاني:

2– الرّبط في المستوى النّحوي:

يتحقق الاتِّساق النَّحوي في النّص الواحد أو في عدّة نُصوص في إطار مدوَّنةٍ كبرى من خِلال الوسائِل الآتية: الوَصل والاستِبدال والإحالة والحذف.

---

[1]– محمّد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، ج2، دار القرآن الكريم، بيروت لبنان، 1980م، ص264.

[2]– جمال براهيم القرش، دراسة المخارج والصفات، دراسة منهجية، مكتبة طالب العلم، مصر، ط1، 1433هـ/2012م، ص68.

2-1- الإحالة:

تعدّ الإحالة من أهمّ وسائل الاتّساق النّصي، ويُقصد بها: "وُجود عناصِر لُغوية لا تكتفي بِذاتها من حيث التَّأويل، وإنَّما تُحِيل إلى نصٍّ آخر، لذا تُسمَّى عناصر مُحِيلة مثل: الضَّمائر وأسماء الإشارة والأسماء المُوصولة[1]"

ويعرّفها ليونز بأنّها: "العلاقة بين الأسماء والمسمَّيات"[2] وطبيعة هذه العلاقة دلاليةً تقتضي التّطابق بين العُنصر المُحال إليه من حيث الخصائص الدّلالية. فالإحالة علاقة بين عنصر لُغوي وآخر لُغوي أو خارجي، بحيث يتوقَّف تفسيرُ الأوَّل على الثّاني، ويُقسّم علماء النَّصّ الإحالَة إلى قِسمين:

2-1-1- إحالة مقامِية خارجية:

وهي تعلُّق عنصرٍ نصّيٍ بعُنصر إشاريّ غير لُغوي موجود في المقام الخارجي، وكما يرى صُبحي إبراهيم الفِقي: "هذا النّوع من الإحالة يتوقَّف على معرفة سياق الحال أو الأحداث والمواقف التي تُحيط بالنّص حتَّى يُمكن معرِفة المُحال إليه من بين الأشياء والملابسات المحيطة بالنّص"[3] ومثاله من قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: 63] فكبير الأصنام في السّياق المقامِي والفضاء الخارجي، وليس عنصرًا كلاميًا، وقد أشار إليه إبراهيم عليه السَّلام باسم الإشارة.

2-1-2- إحالة نصّية داخلية: وتنقسِم إلى قِسمين:

2-1-2-1- إحالة قَبلِية:

وتنطبِق على تعلّق عنصرٍ بعنصرٍ سابقٍ كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا

---

[1]- صالح جولي، الاتساق النص، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 2012م، ص39.

[2]- ابن عروس، مفتاح الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه دولة، إشراف زوبير سعدي والحواس مسعودي، تخصُّص لسانيات النَّص، كلّية الآداب واللُّغات، جامعة الجزائر، 2008/2007م، ص93.

[3]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللُّغة النصي، دار الغد الجديد، ط2، 2009م، ص41.

تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السَّجدة: 4] فقد أحالت الهاء في (ما بينهما) إلى متقدِّم ذِكرًا في السّياق الكلامي، ألا وهو السَّماء والأرض، وأحالت الهاء أيضًا من (من دُونه) إلى متقدِّم ذكر، ألَا وهو اسم الجلالة (الله) فالعُنصر المُحيل هنا الضمير الغائب المتَّصل (الهاء) والعنصر المُحال إليه هو ما ترجِع عليهِ الهاء وهو السَّماوات والأرض في الهاء الأولى واسم الجلالة في الثّانية.

2-1-2-2- إحالة بعدِية:

وتنطبِق على تعلُّق عنصر بعنصرٍ لاحقٍ، ومثالُه الاسم الموصول مع صلته، فالاسم الموصول لا يُفهَم إلّا بصلته التي تأتي بعده.

2-2- أداوت الإحالة المقامية:

2-2-1- أداوت الإحالة المقامية:

أل العهدية الحُضوريَّة: ومعناه أن يكُون مصحوب "أل" حاضرًا أثناء التَّكلم كقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: 3] أي هذا اليوم يوم عرفه الحاضر زمن التَّكلم وهو: "خارج نصِّي و"أل" هي التي أحالت عليه، ويُمكن تعويضُها باسم الإشارة".[1]

2-2-2- "أل" العهدية الزمنية:

ومعناه أنْ يكون مصحُوبُ "أل" مشتركًا في ذِهن المتكلّم والمُخاطب، كأنْ يقول طالبٌ لزميله؛ جاء الأستاذ، إذا كان بينهما أستاذ في الذِّهن.

[1]- صالح جولي، الاتساق النصي، دار الفكر بيروت، ط1، 2012م، ص48.

2-2-3- أسمَاء الإشارة:

إن أشارت إلى خارجٍ نصِّي، ومثاله قولُ المَهدي بن تُومرت لأحد علماء المالكية وقد ناظره في مسألةٍ فقهيةٍ فقال له: "ليس لك أنْ تختار إلَّا هذا أو هذا وأشار إلى السَّيف والمصحَف"[1] ومثاله أيضًا قول الرَّسول ﷺ: "التقوى ها هنا" وأشار إلى قلبه، ولا شكَّ أنَّ القلب خارج نصِّي.

2-2-4- ضمائر المتكلِّم والمخاطب:

فعندما أقول (أنا أحضر الدّرس) فالضمير "أنا" يُحِيل على خارج نصِّي، وكذلك قولنا: (أنت تكتُب الدّرس)، فالضمير "أنت" يشير لعنصرٍ مقاميٍ خارج نصِّي.

2-2-5- ضمائر الغائب:

إذ دلّت على خارج نصّيٍّ، كقولنا (الله هو الذي خلقنا) فهو إحالة مقامية باعتبار مَدلُولِها، وهي إحالة نصِّية باعتبار اسم مَدلُولِها، لأنَّه ذُكر في السِّياق الكلامي.

2-3-1- أداوت الإحالة النّصية القَبلِية:

1- الضمائر: وهي التي تدلُّ على الغياب إنْ عادت على متقدِّم ذكر في السِّياق الكلامي.

2- "أل" العهدية الذِكرية: ومعناها أنْ يكون مصحوبُ "أل" قد تقدم ذكره مجردًا منها في السّياق الكلامي، ومثال ذلك قول النّحاة: "اشتريت فرسًا فبِعت الفرسَ"[2] أيْ الفرس المذكور، وعلامتها أنَّه يمكن تعويض "أل" ومصحوبها بالضمير الغائب على نحو "اشتريتُ الفرس فبِعتُه".

[1]- عبد العلي خلوق، طبقات الظاهرية، مؤسسة الثقافة الإسلامية، ص136.

[2]- جمال الدين بن هشام الأنصاري، قطر الندى ويل الصدى، دار الطلائع المصرية، ط1، 2008م، ص34.

2-3-2- أدوات الإحالة النّصية البعدية:

الأسماء الموصولة:

ومِثالها، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمّد: 1] فالذين اسم مبهم لا يفهم معناه إلّا بالنّظر إلى صلة الموصول، وهي تلك الجملة الواقِعة بعده، وهي "كفروا" فالاسم الموصول عنصرٌ مُحِيل، وتلك الجملة مُحال عَليه.

2-4- الرّبط النّحوي على مستوى المقاربة التّفسيرية:

2-4-1- الإحالة المَقامية (الخارجية) بضمير الغائب:

ومِثالها ما ورد في سورة الفرقان، قال تعالى: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: 44] فالفرقان تحدّثت عن هؤلاء القوم من خِلال الضمير "هم" الذي أحالنا إلى عنصر خارج نصّي لم يرد ذكره في هذه الآية، وورد ذكره جليًا في سورة المُلك، ألا وهو "أصحاب السّعير"، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: 10-11] فمن خِلال الوقوف على سياق الحال والأحداث والمواقف الرابطة بين السورتين استنتجنا هذا الرّبط اللّفظي المُتمثّل في الإحالة المقامية بين العنصر المُحيل (هم) والمُحال إليه (أصحاب السّعير)، وهذا الرّبط اللّفظي قد ساهم في تلاحُم سورتي المُلك والفرقان وتناسقهما ما أكدّ صحّة مقاربة الأستاذ بل ودقّتها.

كما نورد مثالا آخر متعلّقا بالإحالة المقامية خارج النّص، وهو ما جاء في معرض حديث الأستاذ صافي عن ترابط سور أُسرة المُسبحات، وقد جاء التّرابط بين الحديد والتّغابن من خِلال الحديث عن الله تعالى لكن من خِلال الضّمير هو؛ ظاهرًا في الحديد، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الحديد: 4] ومستترًا في التّغابن؛ قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التّغابن: 3] فاشتركت الآيتان في

المضمُون نفسه وهو خلق السّماوات والأرض، كما اشتركتا في الضَّمير وهو الضَّمير الغائب "هو" الذي يعود على الذَّات الإلهية، فتجسَّد الرّبط اللّفظي النّحوي هنا في الإحالة المقامية بين العنصر المُحيل (هو) والمُحال إليه (الله عز وجل).

وتأكيدًا لحضُور هذا الرّابط اللّفظي نُضيف مثالًا آخر للإحالة المقامية، التي استنتجناها في معرضِ حديث الأستاذ المستغانمي عن الرّوابط الجامِعة بين سورتَيْ أسرة تبارك (الفرقان والملك) حيث جاء الحديث عن مشركي قريش من خِلال الضَّمير هم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان: 40] وجاء الحديث عنهم في المُلك من خِلال الضمير المخاطب "أنتم"، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [الملك: 16-17] فاشتركت السُّورتان وارتبطتا من خِلال المُحيل إليه وهو خارج نصّي(مقامي) متمثّلًا في مشركي قريش.

2-4-2- الإحالة النّصية:

نجدُ حضور الرّابط اللّفظي ممثلًا في الإحالة النّصية، من خِلال تدقيقنا لما عرضه الأستاذ صافي في مقام حديثه عن ترابُط الفرقان والملك، فنجد أنَّ الله تعالى قد أحالنا إلى أقوام موسى ونوحٍ وعادٍ وثمودَ وأصحاب الرَّسّ وقوم لوط، من خِلال التَّعبير عنهم بالضَّمير "هم" في المُلك، قائلا: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: 18] وقد وَرد ذِكر هؤلاء الأقوام في سورة الفرقان في الآيات (35-40) فتمثَّل الرّبط بين السُّورتين في الإحالة النّصية، التي ربطت بين العنصر المحيل "هم" والعنصر المُحال إليه ممثلًا في الأقوام سابقي الذّكر.

وللتوضيح أكثر نُورد مثالًا عن الإحالة النّصية التي استنتجناها أثناء تحليل ما أورده الأستاذ المستغانمي في مقام حديثه عمَّا يجمع بين سور أسرة يا أيُّها الذين آمنوا، وبصفةٍ خاصةٍ ما يجمع

بين الممتحنة والمائدة، حيث استنتجنا رابطا لفظيّا ممثلّا في الإحالة النّصية بالضَّمير، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1] فقد أحالَنَا الضَّمير الوارد في قولِه تعالى "عدوّي وعدوّكم" – وهو الضَّمير الغائِب "هو"– على اليهود والنّصارى الوارد في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة: 51] فالرّبط النّحوي في السُّورتين قد تحقّق من خِلال الإحالة بالضَّمير – هو يمثل العنصر المُحيل – والذي أحالنا بدوره إلى المُحال إليه وهو "اليهود والنَّصارى"، وهذا ما حقّق اتساقًا وترابطًا بين سورتَيْ المُمتحنة والمائدة، وهو ما يزيد في صحّة مقاربة الأستاذ دلالةً جازمةً.

المبحث الثالث:

3- الرّبط في المُستوى المعجَمي:

يعدّ المُستوى المعجمي من المُستويات التي تعمل على ترابُط وتماسُك الوحدات المكوّنة للنُّصوص (الجمل)، أو ترابط بين النّصوص المُتعدّدة في إطار المدوَّنة الكبرى[1]، وهذا ما ينطبِق على دِراستنا الهادفة إلى تبيان الرّوابط اللّغوية الجامعة بين السُّور القرآنية في الأسرة الواحدة، ونعتمد في ذلك على ما يتضمن من الوحدات المعجمية كالتّرادف، التّكرار، التّضاد وغيرها.[2]

[1]- ينظر: الوادعي، التماسك النصي، دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2005م، ص32.

[2]- المرجع نفسه، ص32.

في المُستوى المعجمي المُتمثل في المُفردات المُستقلة معجميًا عن السّياق مادة أولّية لا تمثل بعدًا نصيًا على مستوى الجملة البَسيطة أو المُركبة، ولكن يعمَد إلى فتح النّص وما يشاكله وإنتاج فكرتِه، ويقوم على اختيار الألفاظ المنسجمة مع المعنى المَقصُود في الجملة مع الدّلالة في النّص، فهو يعدّ مظهرًا من مظاهِر تماسُك الوحدات النّصية والخطابِية التي يربط بينها دون وصلٍ أو إحالةٍ، وإنّما تكون عن طريق وحدات معجمية قائمة بين مفردات النّص الواحد أو السّور القرآنية التّابعة لأسرة واحدة كما هو الحال في المُقاربة التّفسيرية للشيخ مستغانمي.

وبما أنّ الألفاظ تشكل الأوعية للمعاني، وخدمٌ لها، ولاحقة بها، تعينها في مواقعها، وتحمي نفسها عند حُسن الاتّفاق من كل قلقٍ واستكراه، وسوء تلاؤم، فإن لنظم الألفاظ وتواليها في النطق أثرًا في؛ تناسُق دلالتها، وتلاقي معانيها، وحسن نَظمها، وتفاضل مراتب البلاغة، والاستحسان، إذ أنّ دلالة الوحدات النّصية تنشأ من تفاعل معاني مكوّناتها، ومن علاقات الارتباط المنطقي بين معاني ألفاظها لأن تآلف هذه المكونات يؤدي إلى أن يتلاحم الجانب الدّلالي بعد أن ائتلفت ألفاظها.[1]

ويمكن إجمال أبرز مظاهر الاتساق المعجمي التي تحدث عنها علماء النّص فيما يلي:

3-1- التَّكرار:

ويكون بتكرار عنصر معجمي بعيّنه، أو وُرود مرادفٍ له أو شِبه مُرادف أو عنصر مطلق، أو اسم عامًا[2]، قال تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: 20] ففي هذه الآية تكرار لكلمة "أبصارهم" ما أحدث اتساقًا لألفاظها وانسجامًا لمعانيهما. ويأخذ التَّكرار أشكالًا متعددة:

---

[1]- ينظر: لاينز جون، علم الدلالة، ترجمة عبد الحليم الماشطة، منشورات كلية الآداب، جامعة البصرة، 1980م، ص120.

[2]- عفيفي أحمد، نحو النص، دار بن سينا، القاهرة، ط1، 1994م، ص106.

3-1-1- تكرار مع وحدة المرجع: ويكون المسمَّى واحدًا.

3-1-2- تكرار مع اختلاف المرجع: ويكون المسمَّى متعدِّدًا.

3-1-3- تكرار جزئي: ويكون بالاستخدام المختلف للجذر اللّغوي مع اختلاف العنصر الإشاري المتّصل به.

3-1-4- تكرار المعنى واللّفظ مختلف: ويشمل التّرادف وشبه التّرادف.

وهناك من يضيف عنصرا آخر للتَّكرار:

3-1-5- التّوازي: وهو إظهار التَّناسب القائم بين الكلمات المتساوية في الوزن والطول، ويكون التشابه فيه تطابقا تاما، والتَّكرار غير كامل.[1]

ويقوم التّكرار بالرّبط (أي الجمع بين الكلام)، كما يقوم بتأكيد المعنى المطلوب وفق ما يدخل دائرة الخطاب؛ أي لفت انتباه المتلقِّين، إلاَّ أنّ لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها[2] ويكون التّكرار بالحرف والكلمة، والجملة.

3-2- التّضام:

يعدّ التّضام وسيلة من وسائل الاتِّساق المعجمي وهو عبارة عن "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[3] ويمكن تقسيم وسائل التّضام إلى ما يلي:

---

[1]- أبو زيد عثمان، نحو النص، إطار نظري ودراسات تطبيقية، ص147.

[2]- ينظر: محمَّد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص238، وصبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص41.

[3]- محمَّد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص25.

3-2-1- الارتباط بموضوعٍ معيَّنٍ: حيث يتم الرّبط بين العناصر المعجمية من خِلال ظهورها في سياقات متشابهة[1] ويسمِّيه محمَّد خطابي: علاقة التّلازم الذِكري مثل (المرض، الطبيب) (النُّكتة، الضَّحك)[2].

3-2-2- التّقابل أو التّضاد: وهو يعني المقابلة بين لفظين مختلفين وهو ملمِّحٌ مَّطردٌ وطبيعيٌّ للغاية للّغة ويمكن تحديده بدقّة[3]، فترابط الكلمات مع بعضها البعض من خِلال أشكال التّقابل بأنواعها المختلفة:[4]

3-2-2-1-التّقابل الحاد أو غير المتدرّج: مثل: (ميت، حي)، (متزوج، أعزب)، (علم، جهل) وهذا النّوع من التّضاد يقسم عالم الكلام فلا يعترف بدرجات أقل أو أكثر، فنَفي أحد عُضويّ التّقابل يعني الاعتراف بالآخر، فإذا قلنا فلان ميت يعني الاعتراف بأنَّه ليس حيًا، وهذا النّوع من التّضاد لا يمكن وصفها بأوصاف مثل: "جدًا" أو "قليلا"، أو "إلى حدّ ما".

3-2-2-2-التّقابل المتدرّج: وهذا النّوع لا يمكن فيه إنكار أحد عضوَيّ التّقابل شرطًا بالاعتراف بالعضو الآخر، مثل: (طويل، قصير) فبوِسعنا أنْ نقول طويل نوعًا ما، متوسط الطول قصير جدًا، فكل هذه الكلمات تتقابل ولكن على نحو متدرج.

---

[1]- عزة شبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق -تقديم سليمان العطار، مكتبة الآداب، ط1، 2007م، القاهرة، ص109.

[2]- محمَّد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص25.

[3]- رضوان منسي عبد الله، الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار النشر للجامعات، ط1، 2006م، القاهرة، ص 476-477.

[4]- ينظر: عزة شبل، علم لغة النص، ص109.

3-2-2-3-التّقابل العكسِي: "وهو العلاقة بين أزواج الكلمات، مثل؛ (باع، اشترى)، (زوج زوجة)، فإذا قلنا محمَّد باع بيتًا لعليّ، فهذا يعني أنَّ عليًا اشترى بيتًا من محمَّد، وإذا قلنا محمَّد زوج فاطمةٍ، فهذا يعني أنَّ فاطمة هي زوجة محمَّد[1].

3-3- الرّبط على المستوى المعجمي في المقاربة التّفسيرية:

من خِلال دراسة الأمثلة التي اعتمد عليها الأستاذ المستغانمي في مقاربته التّفسيرية، وجدنا أنّ عنصر التَّكرار عنصر بارزٌ من عناصر الاتِّساق المعجمي التي اعتمد عليها الأستاذ صافي في مقاربته التّفسيرية، كما أنَّه أخذ نصيب الأسد مقارنة بباقي الرّوابط اللّغوية، ومن أمثلته:

3-3-1- التكرار التّام (تكرار اللّفظ والمعنى والمرجعُ واحدٌ):

- التكرار على مستوى السّورة الواحدة:

تكرار صيغة "على آثار" في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: 6]، وتكرَّرت الصّيغة نفسها في السُّورة عينها قُبيل نهايتها؛ قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: 63]، فجاءت هذه مُتحدِّثةً عن موسى عليه السلام وفتاه حين طَلبَ موسى عليه السلام منهُ أنْ يُحضِرَ الطّعام فتذكّر الفتى بعد نسيانٍ أنَّه نسِي الحوت، ثمَّ جاء الوصف القرآني لعودتهما، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: 64] فالمُلاحظ أن تِكرار هذه الصيغة (على آثار) قد حققت ترابطًا (اتساقًا) في سورة الكهف من خِلال تكرارها في بداية السورة (الآية/06) ونهايتها (الكهف/64) فأدى هذا التكرار الكلّي إلى ترابط سورة الكهف ترابطًا محكمًا من بدايتها إلى نهايتها.

[1]- ينظر: أحمد عمر مختار الدلالة، عالم الكتب نشر وتوزيع وطباعة، ط6، 2006م، القاهرة، ص102.

ومن أمثلة التّكرار التام الكليّ التي اعتمد عليها الأستاذ صافي في إطار السّورة الواحدةِ تكرار المُركب الوَصفيّ "حِجرًا مَحجُورًا" في سورة الفرقان، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 22] وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 53] فالتّكرار الكلّي للمُركب الوصفِي "حِجرًا محجُورًا" أدّى إلى اتِّساق آيات الفرقان ببعضها البعض، والمُلاحظ أيضًا أن هذا المُركب الوصفي خاص بها، فحتى في معرض الحديث عن البرزَخ الذي ورد ذكره في (الفرقان/53) وفي سورة الرحمان، قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 19-20] فالمُلاحظ أنّ لفظة برزَخ جاءت دون إضافة المُركَّب الوصفي حِجرًا محجُورًا، وهذا ما يدلُّ بأنَّ هذا التَّعبيرَ خاصٌ بسورة الفرقان، وتكراره أدّى إلى حُسن سَبكها، هذا من الناحية اللّفظية، أمَّا من الناحية المعنوية الدّلالية فتشابُه المقامين؛ مقام تمني الكفّار أنْ يكون بينهم وبين جهنّم حاجزًا مانعًا قويًا ومقام منع تلاقي البحرين[1] هو الذي أدّى إلى تكرار هذا المُركَّب الوصفي الخاص بسورة الفرقان واصطِباغها به.

- **التَّكرار على مُستوى السّور القرآنية التي تنتمي إلى أسرٍ واحدةٍ:**

ومن أمثلة التَّكرار الكلّيّ في السّور القرآنية، نجد تكرار التّعبير الإسنادي (الحمد لله) الذي اصطبَغت به سور الحمد -كما سمّاها الشّيخ صافي -وهي على التَّرتيب التَّنزيلي (الفاتحة، فاطر، الأنعام، سبأ، الكَّهف) وتنتمي إلى السّور المتشابهة المطالع، وتَكرار التَّعبير الإسنادي السّابق الذّكر في السّور الخمس جعل منها محلَّ دراسة من طرف الأستاذ صافي فيرى أنَّ هذا الافتتاح المتطابق بينها ليس من قبيل الصدفة[2].

[1]- أحمد صافي مستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور، ط1، بيروت، 1438هـ/2018م، ص43.
[2]- المصدر نفسه، ص81.

- قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2].
- وقال أيضًا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: 1].
- وقال أيضًا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [الأنعام: 1].
- وقال أيضًا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1].
- وقال في الكهف: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف: 1].

فتشابه مطالع سور الحمد دليلٌ قاطعٌ وبرهانٌ ساطعٌ بأنّها تنتمي إلى أسرة واحدة يربط بينها روابط لفظية ومضمونية، وليس أدّل على اللّفظية منها أكثر من التَّكرار الكلّي لصيغة الحمد لله التي أدَّت إلى تلاحم هذه السّور ببعضها البعض وحُسن سَبكها، كما أنّ هذا التَّكرار يؤكّد على تشابه المضامين وتقاطعها، فالحمد لله والثَّناء عليه موضوعها المشترك، ففاطر قد خصّصت الحمد لله فاطر السماوات والأرض، والأنعام أكدت بأنّ الحمد مستحَقٌّ للذي خلق السَّموات أو الأرض، أمّا سبأ فبيّنت بأنَّ الحمد مستحقٌّ أيضًا للذي له ما في السَّماوات والأرض، أمّا الفاتحة فقدّرت بأنّ الحمد مستحقٌ كذلك لربِّ العالمين، لتأتيَ الكهف كذلك مبيّنة أنَّ الحمد لله الذي أنزل القُرآن الكريم على محمَّد بن عبد الله معتدلًا لا اختلاف فيه، كما أنّ روابط معنوية ومضمونية أخرى سيعرضها الجانب الدّلالي.

وكما نلمس تَكرارًا كلّيًا متمثلًا في تَكرار جملة "ولا تزِر وازِرة وِزرَ أخرى" الواردة في كلٍّ من سُورتَيْ (فاطر:18) و(الأنعام:164). ونلحظه أيضًا في كلٍّ من سورتي فاطر أنَّ الله تبارك وتعالى أرسل محمَّدا صلى الله عليه بشيرًا ونذيرًا، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: 24] وقال في سبأ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: 28] فتقاطعت السُّورتان في كونِ محمَّد ﷺ بشيرا ونذيرا بالحقِّ، وأضافت –إلى هذا

المعنى– آية سبأ بأنَّه مُرسلٌ لجميع النَّاس[1]. فالتَّكرار قد ربط السُّورتين ربطًا لفظيًا أدّى إلى تلاحُمهما وقد أسهم التَّوافق بين مضمُون هذين الآيتين في دعم الانسجام الحاصل بين السُّورتين، كما نجد أنّ التَّعبير نفسه تكرّر في سورتَيْ الأنعام والكهف، ولكن بصيغة الجمع كون السُّورتين بيّنتا أنّ جميع الأنبياء والمرسلين أرسلهم المولى عزّ وجل مبشِرين ومنذِرين، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأنعام: 48] وقال أيضًا: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [الكهف: 56] ليظهر أنّ هذا التَّكرار ليس من قَبيل المصادفة، بل يدل دلالةً قطعيةً على أنّ هذه السّور تنتمي إلى أسرة واحدة، ويؤكِّد هذا الانتماء الانسجام الموضُوعي المعنوِي بينها.

ومن أمثلة التَّكرار الكلّيّ ما جاء في سور "يا أيّها النَّبي" وهي؛ الأحزاب والطَّلاق والتَّحريم وقد سمّاها الأستاذ صافي هذه التسمية نسبة لمطالعها المتشابهة والمتمثّلة في مناداة محمَّد ﷺ بلقب النُّبوة "يا أيّها النَّبي"، وقد تكرّر أسلوب مناداة الرَّسول بلقب الرَّسول في القُرآن مرَّتين، وتكرَّرت مناداته بلقب النّبوة: 13 مرَّة ،07 منها وردت في السُّور الثَّلاث (الأحزاب والطَّلاق والتَّحريم) أيْ بنسبة تفوق النّصف (53.84%) وهذا جدير بأنْ يجعلها مخصوصة بهذه الافتتاحية "يا أيّها النَّبي"، وقد أدَّى هذا التَّكرار الكليُّ إلى ربطِ هذه السُّور بعضها ببعض، كما أنَّه دليلٌ على تقاطُع مضامينها، والمتأمِّل لمواضيع هذه السُّور يجد أنّ سورة التَّحريم جاءت مكمّلة لما شرعت فيه سورة الأحزاب التي بينت الأحكام والأمور التَّنظيمية التي تخصّ البيت النّبوي، لتأتيَ سورة الطَّلاق مكمِّلة للأحكام التي شرعت في ذِكرها سورة الأحزاب[2]، فيظهر أنَّ السُّور الثَّلاث تتوافق في كونها تناقش موضوعًا أسريًا هامًا

[1]– ينظر: محمَّد صافي مستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور، ط1، بيروت، 1439هـ/2018م، ص95.

[2]– ينظر: محمَّد صافي المستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور، ط1، بيروت، 1439هـ/2018م، ص284.

خاصًا بأسرة النَّبيّ محمَّد ﷺ –والتي جاءت مصبُوغة بندائه في مطالعها– وهو ما يفسِّره – ولو تفسيرا بسيطًا – هذا الاستهلال الذي خصّت به سُور "يا أيها النَّبي".

ومن أمثلة التَّكرار الكلّي أيضًا: ما ورد في سورتَيْ الإسراء والفرقان، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفرقان: 56] وقوله في الفرقان: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الإسراء: 105] وهذا التَّقدير الذي خصّت به الآيتان محمَّدا ﷺ بكونه مبشرًا ونذيرًا والذي جاء بصيغتَيْ الحصر والقَصر، لم يرِد إلّا في هذين الموضعين من الإسراء والفرقان، ما دلّ على تلاحم السُّورتين لفظًا وتكاملهما وانسجامها معنى.

3-3-2- التّكرار الكلّي:

- **على مستوى السّورة الواحدة:**

تكرار مادَّة (ردد) التي وردت في صيغ مُتعدِّدة في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ [الكهف:64]، وقال أيضًا: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ [الكهف:87]، وقال أيضًا: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف:36] فالمُلاحظ أنّ سورة الكهف قد اصطَبَغت بهذه المادَّة المعجمية لورُودها عديد المرّات، كما أنّ الله اختار هذه المادَّة دون غيرها، فنلحظ قوله فارتدَّا ولم يقل رجَعا مع أنَّ المعنى نفسَه، والمُلاحظة نفسُها فيما يخصُّ بقية الآيات التي وردت فيها مادَّة (ردد) لكن على خِلاف ذلك نلحَظ قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [فصلت:21] الذي قال فيه "ترجِعون" ولم يقل تُردّون وهذه المفارقة تدلّ دلالةً قطعيةً على اصطِباغ سورة الكهف بهذه المادَّة المعجمِية وهو ما حقَّق اتِّساقًا بين آياتها وانسجامًا بين معانيها من خِلال هذا التَّكرار الجزئي.

- **على مُستوى السّور القرآنية التي تنتمي إلى أسرٍ واحدةٍ:**

من أمثلة هذا النّوع من التّكرار؛ تكرارُ مادة "سبّح" في سور المسبّحات "الإسراء، الحشر، الصّف الجمعة، التّغابن، الأعلى)، وسبب تسمِيتها بهذا الاسم راجعٌ لكونها افتُتِحت بعبادة التّسبيح، حيث جاء بصِيغة الأمر "سبِّح اسم ربِّك الأعلى"، وبصيغة المضارع "يسبح لله" وبصيغة الماضي "سَبّح لله"، وبصيغة المصدر "سبحان الذي..."[1] وهذا الافتتاح المُكرَّر عُدّ من قبيل التّكرار الجُزئي كونُه استخدامٌ مختلفٌ للجِذر اللُغوِي "سبح" وهذا ما جعل سور المُسبِّحات مرتبطة ببعضها ارتباطًا وثيقًا أدّى بعلماء التّفسير للبحث عن العلاقات الجامِعة بينها فذاك التنّاسق اللّفظي النّاتج عن تكرار مادّة التّسبيح ليس من قبيل الاعتباط، بل هو علامة دالةٌ على وشائِج مضمُونية متعدِّدة جامِعة بين هذه السّور الكريمة، ولننظُر أولًا إلى سورة الإسراء حيث يقول الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَى ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] فمن أسرى بعبده؟ إنَّه الله أسرى بعبدِه في رحلةٍ تعدّ آيةً من آياته، ومعجزةً من معجزاته، فهي غير ما أَلِفه العرب في رحلاتِهم حيث كان في لحظة من الزّمن، رأى فيها الرّسول ﷺ ما رأى، واصفًا الأقصى بدقةٍ متناهيةٍ، ألاَّ يستحق – سبحانه وتعالى – هذا التّسبيح والتّمجيد والتعظيم؟ بلى، فأنْ تبدأ السّورة بالتّسبيح أليَق حركةً نفسيةً تتَّسِق مع جوِّ الإسراء اللّطيف، وأليق صلةً بين العبد وربه[2]، كما أنّ ارتباطه بزمن معيّن كما في معنى الفِعل، والنّاظِر المُتفحص لسورة الإسراء يجد أنّها تسربلت بمادَّة التّسبيح في أكثر من موضع فقد وردت في الآيات الآتية (الإسراء؛ الآية 01، الآية 43-44، الآية 46، الآية 108، على التَّرتيب التالي: سبحان الذي، سبحانه وتعالى، قل سبحان، ويقولون سبحان ربنا) فهذا دليلٌ آخر على ثبات التّسبيح والدّوام عليه في هذه السّورة بصفةٍ خاصةٍ.

---

[1]- أمحمَّد صافي المستغانمي، جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّور، ط1، بيروت، 1439هـ/2018م، ص161.

[2]- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ج4، 1988م، ص2212.

أمّا في سورة الحديد التي كان مطلعُها كما يلي؛ قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحديد: 1]، جاء فيها قوله تعالى أيضًا: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: 25]، هذا هو الحديد الذي جعله الله تعالى رادعًا لمن أبى الحقّ، ففيه السّيوف والحِراب ونحوها، ومن جهة أخرى جعل الله فيه منافع للنَّاس من خِلال آلات يستعين بها النَّاس في معاشهم[1]، فمن أوجَد الحديد على هذه الصّورة؟ وعلّم الإنسان الانتِفاع منه بصناعة الآلات والأسلحة الحديثة المتجدّدة، ألا يستحق تسبيحًا دائمًا على هذه النّعمة المُزجاة من القوّة والشّدة والنّفع؟

وفي سورة الحشر يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ ﴾ [الحشر: 2] إنّ إخراج اليهود من ديارهم وإعطاءها للمُسلمين المسبّحين لم يكن متوقَّعًا من المسلمين ومن اليهود الذين ظنّوا حصونهم مانعتهم كما جاء في الآية السَّابقة[2]، وهذا الحشر الذي "يعني أوّل حشرهم إلى الشّام، أوّل حشرهم إلى يوم القيامة، لأنَّ المَحشر يكون في الشّام"[3] فهذا حشر اليهود وإخراجهم من أرض الإسلام جزاء فسادهم، ونصرٌ للمسلمين أثناء قِيام دولتهم، ألاَّ يستحق تسبيح الله وتمجيده وتعظيمه سبحانه وتعالى؟ بلى يستحقُّ.

وفي سورة الصّف يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: 4]، فهذا إخبار من الله تعالى بمحبّة عِباده المؤمنين إذ وُصِفوا مواجهين لأعداء الله في حومَة الوَغى يقاتلون من كفر بالله لتكون كلمةُ الله هي العليَا، ودينُه الظّاهر على سائر

[1]– ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمَّد علي الصابوني، دار التراث العربي، القاهرة، ج3، ص455.
[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط15، ج6، ص3517.
[3]– شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، إحياء دار التراث العربي، ص39.

الأديان"[1]، فهذه المحبّة من الله وهذا الاصطفاف كبنيان يشدّ بعضه بعضًا والذي يُعلي كلمة الله ويُوحّد كلمة المُسلمين، ويرفع من شأنهم، ألاَّ يستحق كُلّ ذلك الصَّنيع تسبيحًا وتمجيدًا وتعظيمًا لله على هذه المحبّة والنّعمة؟

والمُلاحظ أنّ التّسبيح في سورة الحديد والحشر والصَّف جاء على صيغة الماضي "سَبَّح" لأنَّه تسبيحُ شُكرٍ على نعمة مَضت قبل نزول السُّورة، وهي نعمة إخراج بني النّصير من المدينة بعد غدرهم بالنَّبي ﷺ.

كما أنّ هناك نوعًا من الاصطفاف في صلاة الجمعة يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:9] فهذا سعي إلى ذِكر الله وتركِ البيعِ فيه فُرصةٌ لاتّصال المُسلم بِربّه "فهذه دعوة فيها توازن يتمُّ به المنهج الإسلامي"[2] ذلك أنَّ هذا اليوم العظيم الذي ميّزَ الله به المسلمين عن سائر الأمم في أداء صلواتهم مجتمعين مصطفّين، وكذلك هذا التوازن والاصطفاف يستحقُّ – بما لا مجال للشكِّ– تسبيح الله وتعظيمه.

وفي سورة التّغابن يقول المولى عز وجل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ﴾ [التَّغابن: 9] "فهذا يوم الجمعة يُجمَع فيه الأوَّلون والآخرون في صعيد واحد، يسمعهم الدَّاعي، وينفذهم البصر يوم التَّغابن"[3] وهو تصوير لما يقع من فوز المؤمنين بالنَّعيم، وحِرمان الكافرين من كلِّ شيء منه ثمّ صيرُورتهم إلى الجحيم، وكأنّما هناك سباقٌ، ففاز فيه المؤمنون، وهُزم الكافرون[4]، وأمام هذا المشهد

---

[1]– ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمَّد علي الصابوني، دار التراث العربي، القاهرة، ج3، 1987م، ص455.

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط15، ج6، ص3567.

[3]– ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمَّد علي الصابوني، دار التراث العربي، القاهرة، ج3، ص509.

[4]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط15، ج6، ص3588.

العظيم في يوم الجمع والتّغابن لا يملك الانسان إلاَّ أنْ يسبّح لله مُمجِّدًا قدرة الله وعظمته، والمُلاحظ أيضًا أنَّ التسبيح جاء بصيغة المُضارع في سورتَيْ الجمعة والتَّغابن لإفادة أنَّ تسبيحه سبحانه وتعالى دائمٌ لا ينقطع أبدًا بِدَوام صفاته المُوجِبة للتسبيح.

وفي سورة الأعلى يقول المَولى عز وجل: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: 1-2] فهذا خلق فيه بديع الصّنعة ودقّتها، فهو خلق الله الأعلى، "والأعلى صفة تُطلِق التطلّع إلى الآفاقِ التي لا تتَناهى، وتطلق الرّوح لتُسبّح وتسْبَح إلى غير مدًى، وتتناسق مع التمجيد والتنزيه وهو في صميم الشُّعور بصفة الأعلى"[1] والمُلاحظ أنَّ التّسبيح في سورة الأعلى جاء على صيغة الأمر "سبِّح" وهو أمرٌ للإنسانِ وحده دون المخلوقات الأخرى لأنَّه المكلّف المُختار، وفي هذا لفتٌ لانتباه الإنسان كي يُسارِع بالاستجابة لله تعالى ويَنظمَّ إلى مواكب المسبّحين، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: 44].

3-3-3- التوازي:

وهو – كما أسلفنا فيه القول سابقًا – إظهار التنّاسب القائم بين الكلمات المتساوية في الوزن والطُّول، ويوافق هذا النّوع من التَّكرار في مقاربة الأستاذ المستغانمي ما سمَّاه بالسُّور المُفتتحةِ بأنساقٍ تعبيريةٍ متشابهةٍ، "ومن أمثلة هذه السُّور؛ سورتا الفاتحة والحاقَّة اللّتين تتحدثانِ عن يوم القيامة والسُّور الأربعة المُستهلة بالقسم بالملائكة والرّياح، وهي: الصّافات والذّاريات والمرسَلات والنّازعات وهذه السّور وإنْ كانت بدايتها لا تتشابه من حيث الألفاظ المستعملة، إلاَّ أنَّ افتتاحها بكلمات متقاربة

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط15، ج6، ص3883.

في أبنِيتها الصّرفية (الوزن والطّول) وفي طريقة بِناء الجمل والأنساقِ التَّعبيريةِ المستعملة؛ أكسبها أثوابًا لفظية متقاربةً وجعلها تتكامل فيما بينها".[1]

ونأخذ كمثال عن موضوع التكرار المتعلّق بالأنساق التَّعبيرية المتشابهة والمتوافقة وزنًا وطولًا سورتيّ القارعة والحاقة قال تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: 1-3] وقال أيضًا: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: 1-3] فلنتأمل هذا التّوازي البديع بين افتتاحية هذين السُّورتين، إنَّه توافق بديع بين مطلعيهما يدفع بالمتأمِّل في كلام الله البديع أنّ يبحث عن أوجه توافُقٍ أخرى تؤكّد القرابة بين القارعة والحاقَّة، ومن أوجه التَّوافق اللّفظي والمعنوي بينهما:

ابتداؤهما بوَصفيْن ليوم القيامة، فالمعلوم أنَّ الحاقّة والقارعة وصفان ليوم القيامة، كما أنّ كِليهما جاء على صيغة اسم الفاعل، وكلا الصّفتين تُعربان مُبتدأ.

ومن بديع التنّاسق بين السُّورتين، ورود لفظ القارعة في سورة الحاقَّة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: 4] وكأنَّه إجابةٌ عن التَّساؤل الوارد في مطلع الحاقَّة "ما الحاقَّة؟" التي جاءت مكمِّلة للقارعة، وما هذا التّرابط والتّناسق اللّفظي بينهما إلاَّ دليلٌ جازمٌ على القرابة بينهما.

ومن جملة أواصِر القربى بين السّورتين؛ التَّأكيد على مصير المُحسنين في الدُّنيا من خِلال تَكرار قوله تعالى: "فهو في عيشة راضية"، التي جاءت السّابعة ترقيمًا في القارعة والإحدى وعشرين في الحاقَّة، وتحدّثت كلتيهما عن المحسنين مع اختلاف في التَّعبير، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: 19] وقال أيضًا: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: 6].

[1]- أمحمَّد صافي المستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور، ط1، بيروت، 1439هـ/2018م، ص356.

والمتأمّل الحاذِق للآيات المذكورة آنافًا يجِد –بما لا مجال للشَّكِّ– أنَّ السّورتان تتقاسمان الحديث في موضوعاتهما، فكِلاهما وصفَتا أحوال الجنّة، وصوّرتا كيف يعيش فيها الفائزون المفلحون.

كما أنّ كِلا السّورتين تصِفان أهوال القيامة وصفًا تفصيليا، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ ١٦﴾ [الحاقة: 13–16] وقال أيضًا: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: 4–5].

أمّا من ناحِية الإيقاع الصّوتي فنلحَظ كذلك توافقًا وتشابهًا بين فواصل السُّورتين إلى حدِّ التّوازي بينهما، فالتّوازي يوجد أيضًا على مستوى الفواصل القرآنية، وهو أنْ تأتي فاصلتان متّفقتان في الوزن وحرف الرّوِيّ، ومن أمثلتها في الحاقَّة والقارعة (الحاقّة، القارعة، الطّاغية، عاتية، خاوية، باقية، راضية، هاوية، فنلحظ أنّ خاوية و راضية جاءتا على نفس الوزن وحرف الرويّ، وهذا ما جعل منهما متوازيتان، ونلحظ كذلك توازيًا آخر على مستوى فواصلهما (هاويهْ، ماهيهْ، حاميهْ، وحِسابيهْ، كتابيهْ، ماليهْ، سُلطانِيهْ) وانتهاء الفواصل السّابقة بهاء السّكتِ –كما يسمّيها العلماء– وهو صوتٌ خفيٌّ عميق هاوٍ مُنفتِح مناسبٌ لخطاب النّفس حالتيْ الفرح والحزن، كونُه يخرج من أبعد مخرج وهو الحلق قريبًا من الصّدرِ؛ فيه تناسبٌ مع هذه المَقامات الانفعالية التّعبيرية "سواءً كان ذلك إيجابيًا مثلما كان في فرحة النّاجين، أم كان سِلبيًا مثلما تجسّد في تشاؤم المعذَّبين"[1] في قوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: 19]، تصوير للمؤمن يهتف فرحًا من هوْلِ المفاجأة ووقعِ السّرور الشّديد في النّفس من عِظَم المَسرّة، أما في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: 25] تصوير قرآني لوُقوف الفاجِر في حالة كآبةٍ وإحباطٍ فاقدًا التّوازن مناديًا للويل آخذًا للصُّراخِ فتجيء هذه (الهاء) لتطلعنا على

[1]– عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م، ص194.

هذه النّفسية الكئيبة الباكية[1]. وكما ناسب خَفاء الهاء وعمقُه الحديث عن القيامة لأنّها من الغيب الخفي، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة: 10-11] وناسب عمقُ الهاءِ مَقام خِطاب النَّفس.

3-3-4- التّضام:

من خِلال تتبُّع ما استعان به الدّكتور أمحمَّد صافي في مقاربته التّفسيرية من دلائل لإثبات القرابة الوراثية بين سور القُرآن الكريم، استنبطنا أمثلةً عن التّضام الذي لم يشر إليه الأستاذ مباشرة حيث اكتفى بالحديث عن التّرابط اللّفظي بين السّور عمومًا، وينقسم التّضام في مقاربة الأستاذ إلى: التّقابل والارتباط بموضوعٍ معينٍ.

3-3-4-1-التّقابل: يعدُّ التقابل مظهرًا من مظاهر التَّماسك النّصي إنْ على مستوى النّص الواحد، أو على مستوى نصوص متقاربة كما هو الحال في مقاربة الأستاذ المستغانمي، ويكون التّقابل في: الأسماء، والأفعال، وحتَّى الجمل، ومن أمثلته:

- ما ورد في سورتي الملك والفرقان (المتشابهة المطالع)، قال تعالى: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ﴾ [الملك: 7-8]، وقوله أيضًا: ﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا﴾ [الفرقان: 12] "فالتَّقابل هنا بين (الشَّهيق والزَّفير) وكما هو معلومٌ أنّهما كلمتان متلازمتان واقعيا[2]" فالإنسان الحيُّ يتنفّس وفق آليتين؛ الشَّهيق (إدخال الهواء) والزَّفير (إخراجه) كما أنَّه يميزهما الاصطحاب في كلام الله تعالى، فالشَّهيق في سورة الملك كان عند دخول الكفّار لجهنم فوافق دخولهم فيها شهيقها، وزفيرها -كما ورد في الفرقان- جاء مناسبًا للمقام فهُم بعيدون عنها، وهذا

[1]- ينظر: جمال أبو حسان، الدلالة المعنوية لفواصل الآيات القرآنية، دار الفتح، ط1، عمان، الأردن، 1431هـ/2010م، ص211.

[2]- ينظر: محمَّد صافي مستغانمي، جواره الدرر في علم مقارنات السور، ط1، بيروت، 1439هـ/2018م، ص215.

التّضام والمصاحبة اللّفظية الحاصِلة بين الشّهيق والزَّفير خير دليل على التنّاسق والتّلاحم والتكامل بين سورتَيْ الفرقان والملك.

– ومن أمثلته أيضًا في السُّورتين، نجِد المقابلة الرّائعة بين أصحاب الجنّة وأصحاب النّار، قال تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٖ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ [الفرقان: 24]، وقال أيضًا: ﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: 10] فنجد المُقابلة بين (أصحاب الجنَّة وأصحاب النَّار) قد أسهمت في التنّاسق والتّلاحم بين سورتَيْ الملك والفرقان، وهذا دليلٌ آخرٌ على القربى بينهما.

– ومن أمثلة التّقابل ما رصدناه في معرض حديث الأستاذ المستغانمي عن الرّوابط الجامعة بين السّور المتشابهة الفواصل (اللَّيل والضُّحى)، فقد أقسَم الله بأوقاتٍ متقابلةٍ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: 1–2] وقال أيضًا: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضُّحى: 1–2] فجاء اللّيل بظلامه الدّامس مقابلًا لوقت الضُّحى، وفي الآية التّالية من السُّورتين قابل النّهار بنُوره السّاطع اللّيل وستائره المظلمة حتَّى تنسدِل على المعمورة، فكانت هذه المقابلة بين هذه المفردات المعجمية خير دليلٍ على تكامل السُّورتين وتناسقهما تناسقًا بديعًا جعل منهما تنتميان إلى أسرة واحدة.

– ويُلاحظ هذا التّقابل بين لفظتيّ (استعلى وتزكَّى) الواردتين في سورتَي طه والأعلى، على التَّرتيب، قال تعالى "مخبرًا عن الحسرة حينما قالوا فيما بينهم لمّا استهواهم بريق فرعَون قبل أن تُشرق شمس الإيمان في قلوبهم"[1]: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ [طه: 64] أي قد فاز من تكون له الغلبة فردّ عليهم المولى عزّوجل مبطلاً باطلهم، قائلا: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: 14] فجاء الاستِعلاء في هذا المَقام مقابلًا للزَّكاة، والفلاح حليف من يزكّي نفسه ويطهّرها، لا من يستعلي في الأرض ويمكُر فيها، فكان هذا التّقابل بين اللّفظَين السَّابقين دليلًا لفظيًا على التّلاحم بين سورتي طه والأعلى.

[1]– أمحمَّد صافي مستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور، ط1، بيروت، 1439هـ/2018م، ص 549.

3-3-4-2-الارتباط بموضوع معين: يعدّ هذا النّوع من التّضام وسيلةً مهمّة في تحقيق الاتّساق والتّلاحم على مستوى النّصوص من خِلال تضامِ الكلمات المرتبطة بموضوع معيَّن، ومن أمثلته على مستوى مُقاربة الأستاذ المستغانمي:

- حديث سورتَيْ الفرقان والملك عن تزيين السّماء بالقمر والمصابيح، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: 61] وقال أيضًا: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: 5] فالمُلاحظ أنّ الموضوع الأساسي لهذين الآيتين هو النُّور والإضاءة وهو رأس التّضام، ويتضامُّ مع هذا الأخير مجموعة الكلمات الواردة في الآيتين وهي؛ (البروج، الشَّمس المضيئة، القمر المنير، المصابيح) والسّراج مرادفٌ للشّمس المضيئة، إذا ارتباطُ هذه الكلمة بموضوع الآيتين شكّل ترابطًا وتناسقًا بين سورتَيْ الملك والفرقان، وهذا ما أكّد -بما لا مجال للشّك- صحّة المقاربة التي أتى بها الأستاذ المستغانمي.

- ومن أمثلة التّضام مجموعة كلمات مرتبطةٍ بموضوعٍ واحدٍ ما أورده الأستاذ صافي في معرض حديثه عن الأثواب اللّفظية التي تشترك فيها أسرة السُّور المسبّحات، ويتعلَّق الأمر بموضوع الحديد وما يميزه من قوّةٍ وشدّةٍ وصلابةٍ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 34] وقال في نفس السورة: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: 50] وجاء في قوله في سورة الصف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصّف: 4] وقال في الحشر: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14] فنجد في هذه الآيات السابقات ألفاظًا تتضامُ مع لفظ الحديدِ وما يندرج ضمن أوصافِه وهي على التَّرتيب؛ (الحديد، بأس شديد، أشدّ، حجارة، حديد، بينيان مرصوص، قرى محصنة، بأسهم، شديد، جدر) والمُلاحظ أنّ كلَّ هذه الكلمات تشترك

في معنى القوّة والصّلابة والشّدة، وهذا ما جعلها مُتضامَّةً مع بعضها البعض، وهو برهَان يعضد شدّة التّقارب والتّلاحم بين أسرة سُوَر المسبّحات (الحديد، الحشر، الصَّف، الإسراء).

4- الرّبط في المستوى الدّلالي:

يعدّ المستوى الدّلالي من أهم مستويات اللّغة، لأنّه يمثِّل المقصدية من إنشاء النّص، وتعرف الدّلالة "بأنّها العلم الذي يهتم بدِراسة المعنى، أو العلم الذي يتناول دِراسة المعنى"[1]. فالمستوى الدّلالي عبارة عن محصِّلة للمستويات الأخرى في اللّغة لا ينفصِل عنها، فالعلاقات بينهما متبادلة في اتِّجاهين، فعِلم الأصوات يؤثّر في دلالة الكلمات ويظهرُ ذلك جليًا في ظاهرة النّبر والتنغيم، وعلم الصّرف يقوم بدورٍ كبيرٍ في تحديد دلالة الكلمات، فكلُّ تغيير في المبنى يصاحبه تغيير في المعنى فتمييز الفاعل عن المفعول يفضي إلى تحديد المعاني الموجودة وفق ترتيبٍ معينٍ[2].

وتتمثّل فائدة التّرابط والتّماسك الدّلالي كما يقول فان دايك عن الدّلالة: "لم نقدِم سِوى أمثلة قليلة عن البُنية السَّطحية للنّصوص، إذْ يبدو في الواقع أنَّ الخصائص الأكثر تمييزًا للنّصوص توجد أساسًا في المستوى الدّلالي، وكذا المستوى التّداولي، وبعِبارة أخرى: فإنَّ المُتواليات الجُملية تُوصف أساسًا في مستوى العلاقات الدّلالية بين الجُمل[3]". وما ستسعى إليه هذه الدِّراسة هو بيان وتأكيد ما توصَّل إليه الأستاذ أمحمَّد صافي المستغانمي من روابطَ معنويةٍ (الرّوابط في المستوى الدّلالي) وتصنيف هذه الأخيرة حسب أصنافها المُنتسبة إلى هذا المستوى، ومن أهمِّ آليات الرّبط على المستوى الدّلالي ما يلي:

---

[1]- ينظر: محمَّد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م ص43.

[2]- ينظر: الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2010م ص47.

[3]- ينظر: فان دايك، النص بنياته ووظائفه، ترجمة: محمَّد العمري، كتاب الرياض في نظرية الأدب، مقالات ودراسات، ع38، فبراير، 1997م، ص69.

العَلاقات:

"من أهمّ العلاقات التي تؤدي إلى ربطُ معاني الجمل بعضُها ببعضٍ وتُساهِم في انسجام النّص ما يلي":[1]

- علاقة السّؤال والجواب: وتعبّر عنها أدوات الاستفهام (هل؟ أين؟ ما؟ من؟...).
- علاقة السّبب والنّتيجة: وتكمن وظيفتها في ربط النّص بالسّياق.
- علاقة التّمثيل: وتُعبر عنها أدوات الرّبط اللّفظية مثل (الكاف، كأنَّ، مثل...).
- علاقة البديل: وهي من علاقات الانفصال في النّص، وتفيد التّخيِير بين معنيَيْن ويُعبَّر عنهما بأدوات الرّبط اللّفظية مثل (أو، أم، ثمَّ...).
- علاقة التّقابل: وتُعبر عنها علاقات التّقابل بين المعاني سواءً على مستوى الكلمات أو على مستوى القضايا، وقد سبق الحديث عن هذا الموضوع في المبحث المتعلّق بالرّبط على المستوى المعجمي في موضوع التّضام.
- علاقة التّكرار (إعادة الصياغة): ويُقصد بها تَكرار المعاني في النّص، وقد سبَقت الإشارة إليه ولكنَّ المُراد منه ها هنا هو فائدته والمعنى الذي يضيفه والمتمثِّل أساسًا في التأكيدِ والتّقريرِ.

كما أنّ هناك عدّة علاقات لم يتطرَّق لها عزّة شبل، منها علاقة التّكامل (تكامل المعاني) وعلاقة الإجمال والتّفصيل، العلاقة التلازمية، علاقة المقارنة...إلخ.

وتحسُنُ الإشارة إلى أنَّ هذه العلاقات تتميّز بالحضور والغياب على مستوى النّص الواحد أو النُّصوص المتعدِّدة في إطار مدوَّنة كبرى جامعة لها، كما هو الحال على مستوى هذه الدِّراسة، ذلك أنَّ نوع النّص هو الذي يفرض ظهور أنواع معيَّنة من العلاقات الدّلالية دون غيرها من العلاقات.

---

[1]- ينظر: عزة شبل محمَّد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط1، 2007م، ص210-214.

4-1- الرّبط الدّلالي في مقاربة الأستاذ صافي التّفسيرية:

4-1-1- العلاقات الدّلالية المُستنبطة في المُقاربة التّفسيرية:

4-1-1-1-علاقة السّؤال والجواب:

تقوم هذه العلاقة بوظيفة أساسية في هذه المقاربة كونها تُسهم في ربط السّور التي تنتمي إلى أسرة واحدة ربطًا دلاليًا، وذلك من خِلال بعض الآيات التي تتناول في طيّاتها استفهامات مختلفة ليأتيَ الجواب في سورة من السّور التي تجمعهما قرَابة – تنتميان إلى الأسرة القرآنية نفسها– وقد أوردنا هذا التّصنيف في مبحثٍ سابقٍ على مستوى الفصل الأوَّل، وقد يحدث هذا بين سُورتين أو عدّة سور ترابطًا وتكاملًا، ونأخذ على سبيل المِثال ما أورده الأستاذ المستغانمي في شأن الرّوابط الجامعة بين سورتَيْ فاطر وسبأ اللّتين صنّفهما المستغانمي في أسرة الحمد[1]، قال تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: 3] حيث جاء الاستفهام في الآية السّابقة مقرّرًا بشأن الكافرين بأنْ لا رازق لهم ولا لغيرهم إلّا الله –تبارك وتعالى– ليأتيَ الجواب في سورة سبأ وذلك من خِلال حثِّ النَّبيّ محمَّدٍ – ﷺ– أنْ يسأل النّاس جميعا عن رازقهم، وتعليمه الجواب في الوقت نفسه، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: 24] فكانت هذه العلاقة الدّلالية الجامعة بين السُّورتين ممثَّلة في السُّؤال الوارد في سورة فاطر والإجابة عنه في سورة سبأ خير دليلٍ على القرابة بينهما.

ونُضيف مثالًا آخر فيما يخصّ هذه العلاقة، فقد جاء في سورة سبأ تساؤُل الكافرين عن وعد الله الحقّ الذي جاء ذِكره في فاتحة الكِتاب، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] فقد كان مِحور تساؤلهم عن مِيقات هذا الوعد، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [سبأ: 29]

[1]– أسرة الحمد هي: الفاتحة، الأنعَام، الكهْف، فَاطر، سبَأ.

فأجابهم المولى عزّ وجل في مُحكم تنزيله قائلًا: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةَ وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: 30] فالجدير بالتّوضيح أنّ هذه العلاقة قد أسهمت أيّما إسهام في الرّبط الدّلالي بين السّورتين السّابقتين، من خِلال إحداث انسجام معنويّ جاء عن طريق العلاقة المنطِقية بين السّؤال والجواب عنه.

ومن بين تجلّيات علاقة السُّؤال بالجواب في هذه المقاربة التفسيرية، نسوق ما ذكره الأستاذ المستغانمي في معرض حديثه عن الرّوابط المضمونية الجامعة بين الأنعام وأختها سبأ، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ﴾ [الأنعام: 12] فقد جاء الأمر الإلهي ملزما الرَّسول الكريم بأنْ يسأل النَّاس عن مالك السَّماوات والأرض، لتأتي بعدها أختها سبأ وتقرّره مجيبة في مطلعها أنَّ الله تعالى هو مالك السَّماوات والأرض ومن فيهن، مصدّقًا لقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1].

ولا شكَّ في أنَّ هذه الأمثلة الثلاثة السَّابقة تثبت بأنّ هنالك تلاحمًا وترابطًا وتناسقًا بين سور أسرة الحمد دلّت عليه العلاقة المنطقية الكامنة بين السُّؤال والجواب، وهذا ما يزيد في تأييد صحّة ما جاء في مقاربة الأستاذ المستغانمي، بل ويدفعنا إلى التعمُّق في هذه الدِّراسة نظرًا لما جاء فيها من درر قلّ نظيرها في الدِّراسات القرآنية اللُّغوية الحديثة.

4-1-1-2- علاقة التّمثيل:

تعدّ هذه العلاقة الدّلالية ذات أهميّة في هذه الدّراسة كونها تربط بين سورتين أو أكثر في إطار هذه المقاربة من خِلال الحديث عن موضوعٍ معينٍ في سورة معيّنة وتقويمه من خِلال ضرب مثَلٍ له إمّا في السّورة نفسِها أو في سورة قريبة منها، ونسُوق في هذا الصّدد مثالًا أوردُه الأستاذ المستغانمي أثناء حديثه عن الرّوابط المضمونية الجامِعة بين سُور أسرة الحمد، حيث ذَكر أنّ فاطر والأنعام جاءتا ناهيتين عن الاغترار بالحياة الدّنيا، قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ

ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33] وجاء في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: 130] لتأتيَ الكهف ضاربةً مثلًا حيًّا على أنّ الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وأنه يجب على الإنسان عدم الجري وراء متاعِها الزّائل وزينتها الفانية، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: 45] إذًا فالعلاقة النّاتجة عن التّمثيل بين ما ورد في سورتي الأنعام وفاطر وسورة الكهف، جعل من سور أسرة الحمد ممثَّلة في الكهف والأنعام وفاطر مترابطة متلاحمة المعاني.

وممَّا يستنبط من علاقة التّمثيل ما عرضَه الأستاذ المستغانمي أثناء حديثه عن سور أسرة الحمد فقد جاء في درره "أنَّ سورة فاطر حذّرت من الشَّيطان، وقرّرت بأسلوبٍ مؤكّدٍ أنّ الشّيطان عدوٌ مبينٌ للجنس البشري، وعليه فعلى النّاس جميعًا أنْ يحذروه ويتّخذوه عدوًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6] ثمّ جاءت سورة الأنعام بعدها فعمّقت هذا المعنى في نُفوس المؤمنين وزادتهم تحذيرًا من مَكرِه، وأيقظتهم إلى عدم الوُقوع في مصايده وأحابيله، وبيّنت أنَّه هو الذي زيّن للمُنحرفين والمُجرمين ما يعملون، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 43] ثمَّ جاءت سورة سبأ ضاربةً المثلَ بقوم سبأ الذين أنعم الله عليهم بنِعمٍ شتّى، ولكنَّهم أعرضوا، فجزاهم الله بما صنعوا، وضُرب بهم المَثل، ثم علّق البيان القرآني موضحًا استمالة إبليس لهم وجذبِهم إلى حِزبه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: 20] فالمُلاحظ من تحليل الأستاذ المستغانمي أنّ الرّابط الجامع بين سور فاطر والأنعام وسبأ؛ هو علاقة التّمثيل التي ربطت بينهم ربطًا دلاليًا محكمًا، واستطاع بفضِل الدّراسة المستفيضة والتّأمُّل العميق لنصوص التّنزيل اكتشافها لكن دون تصنيفها، وهو ما عكفت عليه هذه الدّراسة.

وفي مثال آخر عن هذه العلاقة الدّلالية يتبيّن الحضور القويّ كدليل على القرابة بين سور القُرآن الكريم، فقد جاء في سورة الأنعام حثُّ المؤمنين على التّسلُّح بالإيمان والتدرُّع بحصون الذِّكر الحكيم تحصينًا لهم من وساوس الشيطان الذي يعمل على تنسِيتهم الحقّ، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 68] ثمَّ جاءت الكهف بعدها ممثِّلة مبيّنة أنَّ الشّيطان هو الذي أنسى فتى موسى عليه السَّلام الحُوت[1] قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣﴾ [الكهف: 63].

4-1-1-3- علاقة التّكامل:

من بين العلاقات الدّلالية الرّابطة بين سور القُرآن الكريم نجِد العلاقة التّكاملية؛ وهي علاقة واسعة الحضور في الرّبط بين سور القُرآن الكريم، ومن تجلّياتها ما جاء في درر الأستاذ المستغانمي حول ما يربط سور أسرة الحمد ببعضِها البعض، فقد جاءت سورة فاطر مبيّنة لنبيّ الرّحمة محمَّد ﷺ أنّ الذين باعُوا أنفسهم رخيصةً في سبيل الباطل وآثروا الكفر على الإيمان، قد زيّن لهم الشَّيطان أعمالهم فرأوها حسنةً، ثمَّ نهاه أنْ يتحسّر على حالهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: 8] ثمَّ جاءت بعدها الكهف مكمِّلة لها ومتِمَّة لمعناها، وموضّحة إيَّاها، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6].

ومن تجليات علاقة التَّكامل في أسرة سُور الحمد ما يربط سورة الكهف بالأنعام، فقد جاء في الأنعام حديثٌ عن عدم طرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 52] لتأتيَ الكهف متمّمة لمعنى الأنعام، وداعية نبيَّ الرّحمة

[1]- ينظر: أمحمَّد صافي، المرجع نفسه، ص118.

أنّ يصبر نفسه معهم –أي الدّاعين ربّهم بالغداة والعشيّ– فقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: 28].

ومما يستنبط من أثر حضور هذه العلاقة ما أورده الأستاذ المستغانمي أثناء حديثه عن الرّوابط الجامعة بين سور أسرتَيْ "يا أيّها النّاس" –وهي الحجُّ والنّساء– فقد ذكرت سورة الحجّ أنَّ الله تعالى يُدخل الذين أمنوا وعمِلوا الصّالحات جنّات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: 14] وقدّرت الآية المعنى نفسه، وأضافت إليها أنَّهم يُكسَوْنَ فيها لباسًا من حريرٍ، وذكرت الآية (50) من السّورة نفسها أنَّ لهم مغفرةً ورزقًا كريمًا، لتأتي الآية (56) مبيّنةً أنّ الجنّات التي يدخلونها هي جنّات النّعيم، بينما أوضحت سورة النِّساء في الآية (57) منها أنّ الله يُدخِل الذين أمنوا وعمِلوا جنّات تجري من تحتِها الأنهار مكمّلة ومضيفةً على أختِها أنّهم فيها من الخالدين، وأنّ لهم فيها أزواجًا مطهَّرةً كما أنَّه يبسُط عليهم بظلٍ ظليلٍ، ولننظر إلى التّرتيب العدديّ فيما بينها، والذي صاحبه التّرابط المعنوي في الآية (57) من سورة النّساء والتي أكملت ما جاء في الآية (56) من الحجّ[1]، وبهذا نجِد أنّ السُّورتين تكمِّل إحداهما الأخرى في الحديث عن الذين ءامنوا وعملوا الصّالحات، وإيرادُ هذه الأمثلة حول علاقة التّكامل بين السُّور جاء على سبيل المِثال لا الحصْر، فحضور هذه العلاقة كان قويًا ودالًا على صحّة نظرية الأستاذ المستغانمي ضمن مُقاربته التفسيرية.

[1]– ينظر: أحمد صافي المستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور، ص129.

4-1-1-4- علاقة الإجمال والتفصيل:

وتعني "إيراد معنى على سبيل الإجمال ثمَّ تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه"[1]، ومن بين تجلّيات هذه العلاقة في مقاربة الأستاذ صافي ما جاء ذِكره من روابِط جامِعة بين الحجّ والنّساء، فيما جاء ذكره مجملًا في الحجّ فصّلته النّساء تفصيلاً دقيقًا، فقد أشار الأستاذ صافي في هذا الصَّدد أنَّ من يدعو مِن دون الله آلهة لا تنفعه ولا تضرُّه وصفته سورة الحجّ بأنّه منغمسٌ في ضلالٍ بعيدٍ، قال تعالى: ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [الحج: 12] لتأتي بعد ذلك سورة النِّساء مفصّلةً ما جاء مجملًا في سورة الحجّ، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 60] وقال أيضًا: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 116] وقال أيضًا: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: 136].

فأوردت الآية (60) أنَّ الشّيطان يريد أنْ يضلَّه ضلالًا بعيدًا وأضافت في الآية (112) أنَّ من يُشرك بالله فقد ظلّ ضلالًا بعيدًا، لتزيد على ذلك مفصّلةً أيّما تفصيلٍ أنّ من يكفر باللَّه وملائكته ورسوله وأركان الإيمان الباقية فقد ضلّ ضلالاً بعيدًا.

ومن بين تجلّيات علاقة الإجمال والتَّفصيل في مقاربة الأستاذ المستغانمي؛ ما ساقه الأستاذ في خِضَّم حديثه عمّا يربط سورتَيْ الإسراء والفرقان في إطار السُّور المتشابهة الفواصل، فقد جاء في الإسراء حديثٌ إجماليٌ عن قوم نوح -عليه السَّلام-، وعن القرون الذين تلته، قال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 17] وجاءت بعدها الفرقان مُفصّلة في هذه القرون ذاكرةً أسماءهم بالتَّفصيل، قال تعالى: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ

[1]- جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة واللسانيات النّصيّة، الهيئة المصريّة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م، ص146.

أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمَا ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ﴿٣٨﴾ وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَالَۖ وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان: 37-40] فالإجمال في الإسراء والتَّفصيل في الفرقان، وهو ما يُثبت صحّة مقاربة الأستاذ ودقَّتها.

وتوضيحا لحضور هذه العلاقة في مقاربة الأستاذ صافي نسوق مثالا آخر متمثِّلا فيما نقله الأستاذ لنا في معرض حديثه عن الرّوابط الجامعة بين سُور أسرة الحمد خاصًّا بالذِّكر سورتيْ الفاتحة "أمّ الكتاب" والأنعام، حيث جاءت فاتحة القُرآن الكريم جامعة مجمِلة للكلّيات الإيمانية بدءا من خلال حديثها عن الإيمان بالله تعالى، وبكونه ربًّا للعالمين، والذي فصّلت فيه الأنعام (65 نزولا) والثَّالثة نزولا فيما يتعلَّق بسور الحمد (الفاتحة، الأنعام، الكهف، فاطر، سبأ)، حيث جاءت في مطلعها معرِّفة بحقيقة ربِّ العالمين من خلال حديثها عن خلقه البديع، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1] كما أنّها قدّرت أنّ ربّ العالمين هو الخالق، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: 2] لتزيد في ذلك تفصيلا وتُبيّن أنَّ ربَّ العالمين هو العليم العلاَّم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرَّةٍ في السَّماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: 3] فكلُّ ما بين الفاتحة والأنعام من علاقة معنوية متمثِّلة في الإجمال والتَّفصيل يبين بما لا يدع مجالا للشَّكِّ أنّهما مترابطان ومتلاحمتان أيّما تلاحم، وهذا ما يؤيّد صحّة المنحى الذي مضى عليه الأستاذ المستغانمي في مقاربته، ويزيد من دقّة تصنيفه.

4-1-1-5-العلاقة التَّلازمية:

من بين أوجه حضور العلاقة التَّلازمية في المقاربة التّفسيرية للأستاذ المستغانمي ما لمسناه في خضّم حديثه عمّا يجمع سُورتَي الحديد والتَّغابن من روابط في إطار أسرة المسبِّحات، فالحديد ذكرت بأنّ الله تعالى له ملك السَّماوات والأرض، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحديد: 1-2] وذكرت التَّغابن أنَّه يعلم ما في السَّماوات والأرض، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: 4] والمعلوم ضرورة أنّ القضيتين متلازمتان، "فالذي يملك يعلم ماذا يملك"[1] ويضاف على المثال مثال آخر زيادة في الإيضاح، فقد جاء في سياق حديث الأستاذ المستغانمي عمّا يجمع بين سورتَي الطَّلاق والأحزاب في إطار ما أسماه بأسرة "يا أيها النَّبي" فكلتا السورتين نصَّتا على الاستعداد لليوم الآخر، كما أنّهما بثَّتا رجاء لقاء الله في نفوس المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: 21] كما أنَّه جاء في الطلاق قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [الطلاق: 2] فالاقتداء بالنَّبي الأعظم يستلزم ضرورةً رجاء الله واليوم الآخر والإيمان بهما، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإنّه يجد في نفسه حافزا داخليا يدعوه ملزما إيّاه تطبيق الأحكام التي تنظِّم الأسر والمجتمعات ممّا جاء في هذه السّور وغيرها[2].

[1]- أحمد صافي المستغانمي، جواهر الدرر في علم مقاربات السور، ص184.

[2]- ينظر: أحمد صافي المستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنات السور، ص231.

4-1-1-6- علاقة السَّبب والنَّتيجة:

"وهي علاقة تربط بين مفهومين أو حدثين أحدهما ناتج عن آخر"[1]؛ وإسقاطا لمفهوم هذا العلاقة على هذه المقاربة؛ وجدنا أنّ ما ساقه الأستاذ صافي في مقام حديثه عن الرّوابط الجامعة بين سورتي الحديد والحشر اللّذين ضمّهما الأستاذ في أسرة المسبّحات هو الأنسب أنْ يكون ممثّلا لهذه العلاقة فقد جاء في سورة الحديد ذكر المنافقين الذين يتحسَّرون حيث لا ينفع التَّحسُّر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13] لتأتي سورة الحشر بعدها وهي الرَّابعة تنزيلا في أسرة المسبّحات –بعد الحديد–مبيّنة سبب عدم وجود المنافقين مع المؤمنين، ونذكر أنواعا من فظاعاتهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:11-14].

ومن بين تجلّيات هذه الرَّابطة المنطقية الدّلالية على مستوى المقاربة التّفسيرية للأستاذ المستغانمي؛ ما جاء في حديثه عمّا يجمع بين سُور أسرة "يا أيها النَّبي" مخصِّصًا حديثه عن سورتَيْ الأحزاب والطَّلاق؛ فقد جاءت الأحزاب ناهيةً رسول الله ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين، وحاثّةً إيَّاه على التَّوكُّل على الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 48] لتأتيَ سورة الطَّلاق مبيّنة أنّ التَّوكل على الله سبب في كفاية الله المرءَ؛

[1]- جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، ص142.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: 3] فجاء السَّبب في الأحزاب ممثّلا في التَّوكُّل على الله لتأتي النَّتيجة في الطَّلاق ممثّلة في الجزاء وهو كفاية الله عزّ وجل، فهو حسب المؤمن، فالعلاقة الكامنة بين السَّبب والنَّتيجة أدَّت إلى تلاحم السُّورتَيْن وجزمت أنّهما تنتميان إلى أسرة واحدة.

4-1-1-7-علاقة المقارنة:

تؤدِّي هذه العلاقة إلى الرّبط بين معنيَين من خلال عرضهما على المقاربة، ومن بين تجلياتها على مستوى المقاربة، نجد مقارنة بين نوعين من المشي، جاء الحديث عنهما في سياق حديث الأستاذ المستغانمي عن الرّوابط الجامعة بين سورتَيْ الملك والفرقان في إطار "أسرة تبارك" فقد جاء في سورة الملك حديث عن الذي يمشي مُكِبًّا على وجهه على غير هدًى، وقد شبّهه الأستاذ المستغانمي بالنّاقة العشواء التي لا تبصر ليلا، وقد تمّت مقارنة هذا الشَّخص بمن يمشي سويًا على نور وبصيرة وعلى صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: 22] أمّا سورة الفرقان فقد ذكر فيها الصِّنف الذي يمشي سويا متواضعا، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: 63] فالمتأمِّلُ لكلام المولى عزّ وجل يجد أنَّ السُّورتين قد قامتا بعقد مقارنة بين شخصين أحدُهما يمشي سويًّا متواضعا وآخر يمشي على غير هدًى شبَّهه السِّياق القرآني بالمُتحيِّر المتطلِّب للآثار في الأرض حال المكبِّ على وجهه في شدَّة اقترابه من الأرض، فأدَّت هذه المقارنة بين الشَّخصيْن سابقيْ الذكر إلى الرّبط الدّلالي بين سُورتي الملك والفرقان.

ومن بين تجليَّات هذه العلاقة على مستوى المقاربة موضوع البحث؛ نجد ما ساقه الأستاذ المستغانمي في معرض حديثه عن أسرة المسبِّحات مخصِّصًا حديثه عن سورتي الجمعة والحشر وما يربطهما من روابط، فنجد أنّ المقارنة قد أجريت بين اليهود الكاذبين والصادقين الحقيقيين، بحيث

عرضت الجمعة تحدّيا صارخا لليهود بأنْ يتمنَّوا الموت إنْ كانوا صادقين، فجاء هذا التَّحدّي حاملا في طيّاته تعجيزا وتبكيتا لليهود، لكنّهم كاذبون، فهم أحرص النَّاس على حياة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: 6] لتأتي بعدها الحشر عارضة لوجه المقارنة الثاني المتمثل في المؤمنين الصادقين موضحة أوصافهم بدقّةٍ بأنّهم أُخرِجوا من ديارهم ظلما وعدوانا، وهجروا المحبوبات والمألوفات من الديار والأوطان، والأحباب والخِلّان رغبة في الله، ونصرة لدينه ومحبةً لرسوله، فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدّقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقّة بخلاف من ادّعى الإيمان والولاء للمولى عز وجل وهم في ذلك كاذبون، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: 8] فأدّت هذه المقارنة بين من سبق ذكرهم والتَّفصيل فيه إلى ربط السُّورتين ببعضهما، وتأكيد صحّة التَّصنيف الجديد الذي عرضه علينا الأستاذ المستغانمي.

خاتمة

خاتمة:

الحمد لله السَّميع العليم أنْ وفقني إلى أنْ أسطِّر خاتمة هذا البحث، والذي حاولت فيه جاهدا استثمار وقتي وجهدي ومعارفي المتواضعة بغية إثبات ما جادت به قريحة الأستاذ الدكتور أمحمَّد صافي المستغانمي، والمتعلِّق بمقاربته التّفسيرية المتضمِّنة تصنيفا جديدا لسور الذِّكر الحكيم، والذي قام بعرضه من خلال مصنَّفه النَّفيس: "**جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّور**"، وهو رؤية تأصيلية للرَّوابط المضمونية واللَّفظية لمجموعات الأسر القرآنية، بغية إثبات صحّة تصنيفه الجديد، وهو ما اقتفت هذه الدِّراسة أثره في من خلال محاولة استنباط قدرٍ كافٍ من هذه الرّوابط وتصنيفها وفق ما ذهبت إليه مباحث لسانيات النّص ومقولاتها الحديثة، ويمكن إجمال النَّتيجة العامَّة لهذه الدِّراسة في:

بدت المقاربة التّفسيرية التي أبدع في صياغة مبادئها الأستاذ المستغانمي جهدا تفسيريا قلَّ نظيره فهو جمع منظَّم ومتجانس بين جهدٍ نظريٍّ استحضر فيه إبداعات التُّراث التَّفسيري وما خدمته من علوم متّصلة باللُّغة العربية، مع ما شاكله من بحوثٍ قرآنية مجاورة، وجهد عمليٌّ تطبيقيٌّ وظّف من خلاله الأستاذ المستغانمي أهمّ ما انطوت عليه لسانيات النَّصِّ من نظرياتٍ ومفاهيم حديثة برهن من خلالها على دقّة ما اصطلح عليه – في إطار مُقاربته التّفسيرية الجديدة– بعلم مقارنات السُّور؛ والذي أبدع تصنيفًا جديدًا لسور الذِّكر الحكيم، أطلق عليه الأستاذ مصطلح مجموعات الأسر القرآنية، وهو ما مضت هذه الدّراسة على دعم وجهته، وإبراز مواضع جودة تصنيفه من خلال الوقوف على استنباط الرّوابط اللّفظية والمعنوية وتصنيفها تصنيف يتلاءم مع المستويات اللُّغوية الأربعة؛ الصَّوتي والصَّرفي والنَّحويّ والدَّلالي، هذا من حيث عموم النَّتيجة أمَّا من حيث جزئياتها، فيمكننا إيراد نتائج كلِّ مستوى على حِدة؛ صوتيًا وصرفيًا ونحويًا ودلاليًا.

1- المستوى الصّوتي:

على الرَّغم ممَّا يراه بعض العلماء من أنَّ الفاصلة سُمِّيت بذلك لأنَّه ينفصل عِندها كلامان؛ نهاية الآية وبداية الآية التي تليها، فإنَّ الدِّراسة انتهت إلى أنَّ الفاصلة القرآنية كانت عنصرًا أساسيًا ليس فقط في ربط الآية بأُختها، بل تجاوزت ذلك إلى ربط السُّورة بأُختها في إطار الضّميمة الواحدة؛ وهو ما وقفت عليه من خِلال التّحليل الإحصائي الذي استهدف فواصل سورتَيْ الإسراء والفرقان والذي أثبت تلاحُم السُّورتين وترابُطهما، وهذا ما يثبِت صحّة تصنيف الأستاذ بل ودقَّته، فهو الذي أفرد قسمًا أسماه بالسُّور المُتشابهة الفواصِل.

2- المُستوى النَّحوي:

إضافةً إلى ما يؤدِّيه عنصُر الإحالة من دورٍ بارزٍ في ربط ألفاظ النَّص القرآني وعباراته بعضها ببعض في إطار النَّص الواحد (السُّورة الواحدة)؛ نجده قد أسهم إسهامًا فعَّالًا في ربط السّور القرآنية التي تنتمي إلى الأسرة الواحدة، وهذا ما ظهر من خِلال تحليل ما عرضه الأستاذ المستغانمي عرضًا مجملًا، وتصنيفه بكيفية مكَّنت من الوُقوف على الدَّور الكبير لهذا الرَّابط اللّفظي على مُستوى المقاربة التّفسيرية للأستاذ صافي، إذ أدَّت الإحالة وظيفتَيْن بارزتين على مستوى هذه المقاربة:

- الأولى: تمثّلت في ربط السُّور القرآنية من خلال الإحالة النّصية وهو ما وضَّحته الأمثلة.

- الثانية: تمثّلت كذلك في ربط السّور القرآنية من خلال الإحالة المقامية (خارج النَّصية) وهذا ما جعل السّور القرآنية ترتبط ارتباطا وثيقا بالسِّياق الذي قيلت فيه، وهو ما أدَّى إلى ترابُط السُّور التي تنتمي إلى الأسر القرآنية وتلاحمها وتكامل معانيها.

3- المُستَوى المُعجمِي:

لقد لعب الاتِّساق المعجمي دورًا مهمًّا على مُستوى المُقاربة التّفسيرية فأسهم في ربط السّور القرآنية وأدَّى إلى تلاحُمها من خِلال توظِيفه لعُنصرين مهمّينِ هما:

1- التَّكرار: والذي تمَّ من خِلال تكرار عناصر معجمية –وحتَّى صوتية – أدَّت إلى ترابط ألفاظ وآيات السُّورة الواحدة، وكذلك ترابُط السّور القرآنية التي تنتمي للضَّميمة الأسرية الواحدة على مستوى المُقاربة محلِّ الدّراسة، والمعلوم أنَّ التَّكرار يقوم بوظِيفتِيْ اتِّساق المباني وانسِجام المعاني، وهو ما لمسناه من خِلال تحليلنا لعديد الأمثلة التي أثبتت حُضور التّكرار بقوةٍ، كما بيَّنت إسهامه في ربط السُّور المُتضامَّة أسريًا لفظيًا ومعنويًا، وقد أثبت حضوره من خِلال؛ التّكرار الكلِّي والجُزئي والتَّكرار المُتوازِي.

2- التَّضام: سجَّل البحث حضورًا لا بأس فيه لهذا الرَّابط اللَّفظي، وهذا على المستوى الألفاظ المعجمية، وهذا ما أثبت حقيقة التَّرابط والتَّلاحم على المُستوى السَّطحي للمقاربة التَّفسيرية، وتمَّ ذلك من خلال عُنصريْ:

- التَّقابل: وهو الحاضر بقوَّةٍ سواء ما كان من تقابلٍ بين السّور ذات الضَّميمة الواحدةِ، أو على مُستوى الأفعال أو الأسماء وحتَّى الجُمل، وهو ما خدم فكرة تلاحم سور الأسر القرآنية الواحدة وأيَّد وجهة مُقاربة الأستاذ المستغانمي.
- الارتباط بموضوع معيَّن: لمَس البحث حضور هذا الرَّابط حضورًا لا بأس به على مستوى المُقاربة التَّفسيرية، فتضامُ ألفاظٍ معجميةٍ مرتبطةٍ بموضوعٍ معينٍ أدَّى إلى إثبات تلاحُم هذه السُّور التي عرفت حضور هذه الألفاظ على مُستواها.

4- المستوى الدّلالي:

أدَّى الرّبط على المستوى الدَّلالي دورًا هامًّا في استواء مقاربة الأستاذ المستغانمي ، كونُها اعتمدت على الرّوابط المضمونية المُتمثِّلة أساسًا في العلاقات الدّلالية بأنواعها المختلفة لإثبات صحّة رؤيتها التأصيلية، فتشابُك مضامين السُّور التي تنتمي إلى أسرةٍ واحدةٍ، وتعالُق وشائِجها، وتعانق دلالاتها كان الدّليل الأكبر على صحّة ما ذهب إليه الأستاذ المستغانمي من تصنيفٍ جديدٍ لسور الذِّكرِ

الحكيمِ، فما جاء مُجملًا في سورةٍ ما، فصّل في أختها، وما جاء على شكلِ سُؤالٍ في سورة ما، أجابت عنه قريبتُها على مُستوى الأسرة الواحدة، وهكذا أدَّت العلاقات المُتعدّدة دورا حاسما في بُزوغ تصنيفٍ جديدٍ أقلُّ ما يُقال عنه أنَّه فضلٌ منَّ به المولى عزّ وجل على عبدِه العالِم أمحمَّد صافي المستغانمي والذي بدورِه فتح الباب على مِصراعيه للباحثين والدَّارسين والأساتِذة والأكاديميّين لإثرائه والتَّعمُّق فيه.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**
- **المصادر العربية:**

1. ابن عروس، مفتاح الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه دولة، إشراف زوبير سعدي والحواس مسعودي، تخصُّص لسانيات النَّص، كلِّية الآداب واللُّغات، جامعة الجزائر، 2008/2007م.

2. ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمَّد علي الصابوني، دار التراث العربي، القاهرة، ج3.

3. ابن منظور جمال الدين محمَّد بن مكرم المصري، لسان العرب، تح: أمين محمَّد عبد الوهاب، ومحمَّد الصادق العبيدي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ط2، 1997م.

4. أبو الفتح عثمان بن جني، سرّ صناعة الاعراب، تحقيق؛ حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق سوريا، ط1، 1985، ج1.

5. أبو الفضل محمَّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر بيروت، 1414ه، ج13.

6. أبو القاسم الحسين الرّاغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الدَّاودي، ط1، دار القلم الدّار الشامية، دمشق، بيروت، 1412ه.

7. أبو القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري، المفصَّل في علم اللُّغة، تعليق: محمَّد عزّالدين السعيدي، دار إحياء العلوم، بيروت لبنان، ط1، 1990.

8. أبو بكر محمَّد بن السَّرّاج، الأصول في النّحو، تحقيق: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1985،1م، ج1.

9. أبو زيد عثمان، نحو النص، إطار نظري ودراسات تطبيقية.

10. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللُّغة، تح: أحمد البردوني وعلي الجاوي، د ط، الدَّار المصرية للتَّأليف والتَّرجمة، القاهرة، د ت، ج12، مادَّة (ف ص ل).

11. أحمد صافي المستغانمي، جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّور، ط1، بيروت: 1439هـ -2018م.

12. أحمد عمر مختار الدلالة، عالم الكتب نشر وتوزيع وطباعة، ط6، 2006م، القاهرة.

13. الاستراباذي رضي الدين، شرح الرضى على الكافية.

14. إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عبّاس وسناء عبّاس، فهرس المكتبة الوطنيّة، عمّان،1991م، (د.ط).

15. الباقلاني، إعجاز القرآن.

16. بدر الدِّين محمَّد بن عبد اللهِ الزَّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم ط1، القاهرة 1376هـ -1975م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ج1، ص35.

17. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور دار الكتاب الاسلامي القاهرة، ج1، ص36.

18. تمَّام حسان، اللُّغة العربية معناها ومبناها، دار الثَّقافة، الدَّار البيضاء، المغرب، د ط، 1994، ص213.

19. جمال أبو حسان، الدلالة المعنوية لفواصل الآيات القرآنية، دار الفتح، ط1، عمان، الأردن، 1431هـ/2010م، ص211.

20. جمال الدين بن هشام الأنصاري، قطر الندى ويل الصدى، دار الطلائع المصرية، ط1، 2008م، ص34.

21. جمال براهيم القرش، دراسة المخارج والصفات، دراسة منهجية، مكتبة طالب العلم، مصر، ط1، 1433هـ/2012م، ص68.

22. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ج2، ص405.

23. جميل عبد الحميد، البديع بين البلاغة واللسانيات النّصيّة، الهيئة المصريّة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م، ص146.

24. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، ص142.

25. حسام البهنساوي، قواعد الربط وأنظمته في العربية ونظريات الربط اللغوية الحديثة، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1، 2008، ص9.

26. حميدة مصطفى، نظام الرّبط والارتباط في تركيب الجملة العربية، ص21.

27. رضوان منسي عبد الله، الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار النشر للجامعات، ط1، 2006م، القاهرة، ص 476-477.

28. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، محمَّد أبي الفضل الديماطي، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، مصر 2006، (د ط).

29. الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2010م.

30. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ج4، 1988م، ص2212.

31. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، إحياء دار التراث العربي، ص39.

32. صالح جولي، الاتساق النص، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 2012م، ص39.

33. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللُّغة النصي، دار الغد الجديد، ط2، 2009م، ص41.

34. العارف عبد الرّحمان حسن، تمام حسان، كتاب تذكاري، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002م.

35. عباس حسن، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م، ص194.

36. عبد الرحمن بن معاضة الشهري، أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود، علم المناسبات في القرآن الكريم.

37. عبد العلي خلوق، طبقات الظاهرية، مؤسسة الثقافة الإسلامية، ص136.

38. عثمان بن سعيد الدَّاني، البيان في عدِّ آي القرآن، ط1، الكويت، 1994م، ص132.

39. عزة شبل محمَّد، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط1، 2007م، ص210-214.

40. عفيفي أحمد، نحو النص، دار بن سينا، القاهرة، ط1، 1994م، ص106.

41. فان دايك، النص بنياته ووظائفه، ترجمة: محمَّد العمري، كتاب الرياض في نظرية الأدب، مقالات ودراسات، ع38، فبراير، 1997م، ص69.

42. كمال الدِّين المرسي، فواصل الآيات القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1999م، ص9.

43. لاينز جون، علم الدلالة، ترجمة عبد الحليم الماشطة، منشورات كلية الآداب، جامعة البصرة، 1980م، ص120.

44. محمَّد الخفاجي، النسق القرآني دراسة أسلوبية رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، كلية الآداب، 1423هـ/2003م، ص86.

45. محمَّد العف، المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها –رسالة ماجستير–، الجماعة الإسلامية، غزة، قسم التفسير وعلوم القرآن، 1430هـ/2009م، ص 39–40.

46. محمَّد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص238، وصبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص41.

47. محمَّد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص25.

48. محمّد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، ج2، دار القرآن الكريم، بيروت لبنان، 1980م.

49. محمَّد محمَّد حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1970.

50. مختارية بن قبلية "إصابة المرامي في سيرة المستغانمي–وقفات ومحطّات في مسيرة أمحمَّد صافي العلمية–" أعمال الملتقى الدّولي، أمحمَّد صافي المستغانمي مسار ومنجزات، المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر، 2021م، ج2.

51. مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، 1978م، مادة ربط.

52. مصطفى حميدة، نظام الارتباط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية للنشر، مصر، ط1، 1997.

53. مصطفى حميدة، نظام الرّبط والارتباط في ترتيب الجملة العربية.

54. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النَّبوية، دار المنار للطَّبع والنَّشر، ط1، 1417هـ/ 1997م.

55. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن.

56. الوادعي، التماسك النصي، دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2005م.

57. ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
إهداء وشكر وعرفان	
مقدمة	**أ- ز**
الفصل الأول: **الجانب النظري للدراسة مقدمات التأسيس**	
1- ترجمة الأستاذ صافي المستغانمي	**9**
1-1- مقدمة	**9**
2-1- مولد الأستاذ أمحمد صافي المستغانمي ونشأته	**9**
3-1- تعليمه وشهاداته	**10**
4-1- علاقة الشيخ بالقرآن الكريم	**11**
5-1- رحلات الشيخ وجولاته	**11**
6-1- الوظائف والمسؤوليات التي تقلدها	**12**
7-1- مؤلفات الأستاذ	**13**
1-7-1- المؤلفات المطبوعة	**13**
2- الإطار المعرفي للمقاربة التفسيرية للأستاذ صافي المستغانمي	**15**
1-2- مقدمة	**15**
2-2- مضمون المقاربة التفسيرية للشيخ صافي المستغانمي	**16**
3-2- علم المناسبة	**17**
1-3-2-المناسبة لغة	**17**
2-3-2-المناسبة اصطلاحا	**17**
4-2- تعريف المقاربة	**19**
1-4-2-المقاربة لغة	**19**
2-4-2-المقارنة اصطلاحا	**19**
3- المصطلحات المفاتيح في الدراسة	**23**
1-3- تعريف الربط	**23**
1-1-3-الربط لغة	**23**
2-1-3-الربط اصطلاحا	**23**
2-3- أنواع الروابط	**25**
1-2-3-الرابط اللفظي	**25**
2-2-3-الرابط المعنوي	**26**
الفصل الثاني: **الروابط اللفظية والمضمونية المعتمدة في المقاربة التفسيرية**	
مقدمة	**30**
1- الربط في المستوى الصوتي	**31**
1-1- الربط بواسطة الفواصل القرآنية	**31**
1-1-1- تعريف الفاصلة القرآنية	**31**
2-1-1- لغة	**31**
3-1-1- اصطلاحا	**32**
4-1-1- الفرق بين الفاصلة والقافية والسجع	**32**
5-1-1- أنواعها	**33**

1-1-5-1- الفواصل المتماثلة	**33**
2-1-5-1- الفواصل المتقاربة	**34**
3-1-5-1- الفواصل المتوازية	**34**
4-1-5-1- الفواصل المتوازنة	**34**
6-1-1- أهميتها	**34**
2- الربط في المستوى النحوي	**39**
2-1- الإحالة	**40**
1-1-2-إحالة مقامية خارجية	**40**
2-1-2-إحالة نصية داخلية	**40**
1-2-1-2- إحالة قبلية	**40**
2-2-1-2- إحالة بعدية	**41**
2-2- أدوات الإحالة المقامية	**41**
1-2-2- أدوات الإحالة المقامية	**41**
2-2-2- "أل" العهدية الزمنية	**41**
3-2-2- أسماء الإشارة	**42**
4-2-2- ضمائر المتكلم والخاطب	**42**
5-2-2- ضمائر الغائب	**42**
1-3-2- أدوات الإحالة النصية القبلية	**42**
2-3-2- أدوات الإحالة النصية البعدية	**43**
4-2- الربط النحوي على مستوى المقاربة التفسيرية	**43**
1-4-2- الإحالة المقامية (الخارجية) بضمير الغائب	**43**
2-4-2- الإحالة النصية	**44**
3- الربط في المستوى المعجمي	**45**
1-3- التكرار	**46**
2-3- التضام	**47**
3-3- الربط على المستوى المعجمي في المقاربة التفسيرية	**49**
1-3-3-التكرار التام (تكرار اللفظ والمعنى والمرجع واحد)	**49**
– التكرار على مستوى السورة الواحدة	**49**
– التكرار على مستوى السور القرآنية التي تنتمي إلى أسر واحدة	**50**
2-3-3- التكرار الكلي	**53**
– التكرار على مستوى السورة الواحدة	**53**
– التكرار على مستوى السور القرآنية التي تنتمي إلى أسر واحدة	**54**
3-3-3-التوازي	**57**
4-3-3-التضام	**60**
4- الربط في المستوى الدلالي	**63**
العلاقات	**64**
1-4- الربط الدلالي في مقاربة الأستاذ صافي التفسيرية	**65**
1-1-4-العلاقات الدّلالية المُستنبطة في المُقاربة التّفسيرية	**65**
1-1-1-4- علاقة السؤال والجواب	**65**
2-1-1-4- علاقة التمثيل	**66**
3-1-1-4- علاقة التكامل	**68**

4-1-1-4- علاقة الإجمال والتفصيل	**70**
5-1-1-4- العلاقة التلازمية	**72**
6-1-1-4- علاقة السبب والنتيجة	**73**
7-1-1-4- علاقة المقارنة	**74**
خاتمة	**77**
قائمة المصادر والمراجع	**82**
فهرس المحتويات	**89**